الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع الكردانى عابدين — القاهرة — تليفون رقم : ٤٢٩٩٢ / ٥٦٧٦٩

العدد ٢٨٢ — الثلاثاء أول جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣ — ٢٣ من مايو سنة ١٩٤٤ — السنة السادسة

فهرس العـــــدد

الضغط على المحايدين

عند ما تستعر نار الحرب ، وتقتتل [illegible] أمم وشعوب ، نرى فريقاً قد آثر العافية والسلامة ، وتنكب من طريق الحرب ، والتزم خطة الحياد . هذه كانت السنّة فى الزمن القديم ، يوم كان الرئيس العربى ينادى بأن لا ناقة له فيها ولا جمل ، وهى السنة اليوم الذى رأينا فيه دولة إرلنده تلتزم الحياد مع أن مليكها ورئيسها الأعلى يخوض حرباً ضروساً شعواء . فموقف الحياد ليس بالشىء الجديد ، المقصور على هذه الدول المتمدنة ، لأن الحرب هى أيضاً ليست من مبتكرات المدنية ؛ بل ذات أصول عريقة فى العصر الجاهلى .

ولو أن العالم الجديد سار فى طريق الرقى حقاً ، لما كان هنالك حياد بالمعنى الصحيح ، ولكان هنالك نظام عالمى يجعل التعدى على دولة واحدة — مهما كانت صغيرة عزلاء — معتدياً على جميع الدول . وهنالك يشن الجميع حرباً شعواء على المعتدى الأثيم حتى يعود إلى الصواب . وهنالك [illegible] لا يكون حياد ولا وقوف بلا حراك .. كان ذلك هو الحلم الذى ارتسم فى عقول من أنشأوا عصبة الأمم بعد الحرب الماضية . ولكنه ظل مع الأسف حلماً ، لأن طائفة من الدول القوية أبت أن تحققه ، وطائفة أخرى أبت إلا أن تقاومه وتمزقه . فكان من نتيجة هذا أن ثارت هذه الحرب بين طائفة من الدول ، وظلت طائفة أخرى ملتزمة خطة الحياد .

والمحايدون يراقَبون أثناء الحروب مراقبة دقيقة ، لكيلا يرتكبوا عملاً يتنافى مع الحياد . والدول المحاربة شديدة الانتباه لكل أمر يصدر عن الدول المحايدة ، وتحصى عليها كل عمل تأتيه وتحاسبها عليه — أثناء الحرب ، إذا استطاعت ، وإلا فبعد الحرب — حساباً عسيراً . وكثيراً ما يكون المحارب شديد التبرم بالمحايد ؛ لأنه يرى أنه على حق ، وأنه ينصر الحق ، فكيف يسوغ لإنسان أن يقعد عن مساعدته وهو ينصر الحق ، وفى نصرة الحق فائدة

الجميع ؟ وهذا التفكير أيضاً ليس بالشيء الجديد ؛ فالمحاربون في الجاهلية العربية كانوا أيضاً يتبرمون بمن يقف موقف الحياد، وقد ابتكروا لهذا المعنى ذلك القول الشهير الذي لا نزال نردده إلى اليوم وهو : « من ليس منا ، فهو علينا ! » .

وفي هذه الحرب ، التي لم تزل تنمو ميادينها وتتسع حتى عمت الكوكب كله ، بادر كثير من الدول بالتزام خطة الحياد . ولكن المتحاربين كان لهم في هـذا الأمر رأي آخر ، ففي العام الأول من الحرب قضت ألمانيا على حياد نروج ودانمارك وهولنده وبلجيكا ولكسمبورج ؛ وفي العام الثاني قضت على حياد سلوفاكيا وهنجاريا ويوجوسلافيا ورومانيا وبلاد البلغار . كانت ألمانيا لا يردها عن القضاء على حياد دولة إلا رغبتها في الإرجاء . وفي مقابل هذا كله لم تقم دول الحلفاء إلا بالتدخل في سوريا ولبنان ، ثم في إيران ، مع تقديم المواثيق بأن ما جرى هنالك ما هو إلا ضرورة حربية تزول بانتهاء الحرب .

أما روسيا — التي كانت تحرص [illegible] عليها عاجلا أو آجلا — فقد استغلت ذلك بالتدخل في شئون دول البحر البلطي أستونيا ولتونيا ولاتفيا ؛ وباقتطاع جزء صغير من فنلنده . وهكذا تضاءل بالتدريج عدد المحايدين ، حتى أصبح قلة تافهة إلى جانب الأقطار التي اشتركت — أو أقحمت — في هـذه الحرب . وما دام المتحاربون يظنون أنفسهم منهمكين في حرب فناء أو بقاء ، فلا شك أننا نلتمس لهم العذر إذا كانوا يحاولون من آن لآن أن يؤثروا في المحايدين تأثيراً يختلف شدة وقوة من آن لآن .

إن موقف الحياد ، الذي تتخذه دولة من الدول ، يجب أن يكون من الدقة بحيث لا ينتفع به أحد الفريقين المتحاربين . ولا يجوز لدولة المحايدة أن تؤوي جنوداً أو سفناً حربية أو طائرات تابعة لأحد المعسكرين ؛ ويجب عليها أن تمتنع ، وأن تمنع رعاياها ، من الاشتراك في الحرب ، أو بيع أي مادة تستخدم في الحرب ، ولو بطريق غير مباشر . فليس يكفي أن تمتنع الدولة المحايدة من بيع المدافع والقنابل والسفن الحربية ونحوها مما يستخدم في الحرب ، بل كذلك الأدوات والمواد الأولية التي يغلب استخدامها في صنع أداة الحرب .

على أن هذه الاعتبارات ، إذا اتفقت مع ما اصطلح عليه العرف الدولي في تحديد معنى الحياد ، فإن التطورات الحديثة في الأداة الحربية ، قد جعلت هذه الشروط نفسها غير كافية لموقف الحياد من جهة ، وتخلق للمحاربين مشقة يصبح معها من المستحيل احترام الحياد احتراماً تاماً من جهة أخرى ، وتسبب للمحايد ضيقاً وضنكاً من جهة ثالثة .

والحالة الأولى يفسرها بوضوح حياد إرلنده . فإن هذا الحياد يعمل دائماً لمصلحة ألمانيا ، فإن الطائرات الألمانية قد استطاعت بأنوار إرلنده على توجيه ضرباتها للساحل المقابل من إنجلترة ، أو للأرض الإرلندية الشمالية والشرقية . ومن المعروف أيضاً أن السفن الألمانية — قد استخدمت المياه الإرلندية الإقليمية ؛ فلم تعمل حكومة إرلندة أكثر من أن أغمضت جفنها بشدة على هذه الأعمال وأشباهها . وهكذا نرى أن الحرب الحديثة قد جعلت موقف الحياد الإرلندي ليس حياداً بالمعنى الصحيح ، لأنه من غير شك يضر الحلفاء ويفيد الألمان .

أما الحالة الثانية وهي صعوبة احترام الحياد احتراماً تاماً ، فهي واضحة من مثال واحد بسيط ، وهو النشاط الجوي . فمن المعروف أن الاصطلاح الدولي لا يجيز لطائرات المحاربين أن تخترق جو البلاد المحايدة . ولكن مبدأ حيدة الجو فوق البر المحايد ، مبدأ قد دفعته ضرورات الحرب الحاضرة في زاوية الإهمال والنسيان . وسويسره — ولعلها الدولة الوحيدة التي هي أدنى إلى مسلك الحياد التام من أية دولة أخرى — لا تكلف نفسها حتى عناء الاحتجاج على اختراق الطائرات لجوها في صورة لا تكاد تنقطع .

بقي أمر ثالث ، وهو أن شروط الحياد القديمة تعطل

كثيرا من مصالح الدول المحايدة . فإننا إذا سلمنا بأن على هذه الدول ألا تبيع أدوات الحرب إلى أحد الفريقين المتحاربين ، فإن من الصعب عليها أن تمتنع عن بيع كل مادة قد تستخدم فى صناعة أدوات الحرب . وهذا الشرط يرجع فى الراجح إلى الزمن المتقدم ، حين كانت المواد المستخدمة فى صنع الأداة الحربية قليلة العدد ، أما اليوم فإن من الصعب أن نجد مادة أولية لا تدخل فى صناعات الحرب وأعمال الحرب . وإذا كانت الدول المحايدة لا تتصرف فى هذه المواد بالبيع لأحد الفريقين فإن تجارتها تتعطل ، وحياتها الاقتصادية تصاب بارتباك شديد . ولذلك لم يكن بد من أن تخرج الدول المحايدة على هذه القاعدة وأن تبيع ما لديها من المواد لأحد الفريقين . وهى قلما تستطيع أن تبيع للفريقين فى آن واحد ، لأن هذا يتطلب منها قوة عظيمة تمكنها من أن تحمى نفسها شر أى احتجاج أو إرهاق من أحد الطرفين . وليس بين المحايدين اليوم دولة قوية ، بل كلها دول من الرتبة الثانية أو الثالثة ولذلك تراها تبيع ما لديها من السلع للفريق الذى تخشى جانبه ، أو الذى تميل إليه .

وقد جاء على الدول المحايدة : تركيا والسويد وأسبانيا والبرتغال ، حين من الدهر كانت تخشى فيه جانب الألمان ، فأخذت تبيع لألمانيا ما لديها من السلع ، وكانت ترضى فى كثير من الأحيان أن تتلقى فى مقابل ما تقدمه من السلع وعوداً بالدفع ، أو سلعاً أخرى ليست فى حاجة شديدة إليها . فلما تبدلت الأحوال ، وشالت كفة الألمان ، ورجحت كفة الحلفاء ، ألفينا هذه الدول تتحول إلى وجهة جديدة ، وتسلك مسلكا جديدا .

وهذا التحول واضح بوجه خاص فى موقف أسبانيا الذى كثر التحدث عنه فى المدة الأخيرة ، والذى سنخصص له الجزء الباقى من هذا المقال .

إن أسبانيا من غير شك دولة حسنة الحظ ، حيث مكنتها حوادث الحرب وظروفها من أن تبقى بمعزل عنها ، وأن تسلم من غوائلها ؛ ولقد كان من الجائز جدا أن يكون لها مصير غير هذا المصير . فمن المعلوم أن الحكومة الأسبانية الحاضرة مدينة إلى دول المحور بمساعدات ضخمة ، يوم نصرت ألمانيا وإيطاليا فريقا من الأسبان على فريق ، وكانت تلك المساعدات العامل الأكبر فى انتصار النظام الحالى وانهزام الحزب الجمهورى . وفى أسبانيا حزب كبير الخطر يميل إلى دول المحور ، ويرى مصلحته الكبرى فى مناصرتها وتأييدها ؛ وكان من الجائز أن يطالب إلى الحكومة الأسبانية الحاضرة أن تؤدى ما عليها من دين ، وأن تشترك فى هذه الحرب برجالها ودماء أبنائها ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث . ولا بد لنا أن ننتظر تحقيق المؤرخين فى المستقبل لكى نعلم هل طلب إلى أسبانيا مثل هذا الاشتراك ؛ ولكن يخيل إلينا أن الألمان لم يكونوا فى حاجة أول الأمر إلى جيش أسبانى ، لأن ذلك يكلفهم مؤونة تدريبه وتموينه وتزويده بالعدة الحربية اللازمة ، ولذلك فابتعاد أسبانيا عن ميادين الحرب الأولى لم يكن مثل هذا الأمر مما يفيد ألمانيا كثيراً ، واكتفت الحكومة الألمانية من أسبانيا بمساعدات تجارية ، وبأن يكون حيادها مشربا بروح العطف على ألمانيا وإيطاليا .

ولكن أسبانيا ذهبت إلى أبعد من هذا فى مؤازرة ألمانيا ؛ فإنها فى ٤ نوفمبر سنة ١٩٤٠ بسطت سلطتها التامة على مدينة طنجة ، وتولت حكمها بنفسها ؛ ولم تستطع بريطانيا فى مقابل هذا العدوان الصريح أن تفعل أكثر من الاحتجاج . ذلك أن طنجة مدينة دولية خاضعة لحكم أربع دول : بريطانيا وفرنسا وأسبانيا وإيطاليا . وهى واقعة فى الطرف الجنوبى من مضيق جبل طارق ، ولذلك فهى مجال واسع للتجسس ولمراقبة السفن المارة من المضيق ؛ واستيلاء أسبانيا عليها يمكّن للألمان من أن يجدوا فيها ميداناً لبث العيون والأرصاد ، والاستفادة

من ذلك فى مختلف الوجوه . ولم تلبث ألمانيا أن أصبح لها تمثيل قنصلى قوى فى طنجة ، ولم يلبث رجالها أن انتشروا فى أنحائها كما انتشروا فى أنحاء مراكش الأسبانية .

ولقد انتظرت أسبانيا إلى الوقت الذى كانت فيه بريطانيا تحارب ، بمفردها تقريباً ، عدواً شديد البطش مدججاً بالسلاح ، ثم أقدمت على الاستيلاء على طنجة . فكان هذا عملا يصعب أن يوصف بأنه من أعمال الحياد . إن بريطانيا لم تثر مسألة طنجة بعد ، ولا ينتظر أن تثيرها قبل نهاية الحرب .

ومضت أسبانيا فى أعمالها « الحيادية » هذه : فسمحت بإرسال فرقة محاربة إلى روسيا ، فإن حاجة ألمانيا الآن اشتدت إلى من يعاونها فى معاركها الحربية . وتحدث الناس كثيراً قبل ذلك فى أن أسبانيا قد تسمح للجيش ألمانى بالذهاب إلى إفريقية ، والاستيلاء على جبل طارق . ولا نظن أن أسبانيا كانت تمانع كثيراً فى هذا الأمر ، ولكن ألمانيا — لأسباب [illegible] — فضلت أن تظل أسبانيا بعيدة من [illegible] وأن [illegible] الأمدادات الإفريقية عن طريق صقلية .

ثم دار الفلك دورته ، ودخلت أمريكا الحرب إلى جانب الحلفاء فى ديسمبر ١٩٤١ ، ولم يكن فى هذا أول الأمر ما يدعو أسبانيا إلى أن تحول حيادها الجرمانى إلى حياد أمريكى . ولكن الحال لم تلبث أن تبدلت ، يوم دخلت أمريكا بجيوشها إفريقية الشمالية فى نوفمبر سنة ١٩٤٢ . وتدفقت قوات الحلفاء إلى شمال إفريقية ، وانهزم الألمان فى ليبيا ، وتونس . وأصبحت السيطرة التامة فى إفريقية الشمالية للفريق الذى لم تكن أسبانيا تخشاه . ولم يكن فى هذه الحالة الجديدة ما يضيرها ، لو أن حيادها كان حياداً دقيقاً ، ولكنه كان حياداً من حيادات هذه الحرب ، يتغير بتغير الظروف والحوادث . ولا شك أن أسبانيا قد تورطت فى حيادها الجرمانى إلى مدى بعيد ، ولم يبق بد من أن تصلح بعض ذلك الفساد ، وأن ترأب الصدع الذى أمعنت فى حفره بينها وبين الأمم المتحدة .

ومع ذلك كان من الصعب على الحكومة الأسبانية أن تتجه بحيادها هذا الاتجاه الجديد . واضطرت الحكومة الأمريكية لأن تقطع عن أسبانيا واردات البترول . وكان فى وسعها أن تستخدم وسائل أخرى للضغط على الحكومة الأسبانية . ولكن هذه أدركت أخيراً أنها تحسن صنعاً لو حولت حيادها وجهة جديدة ، فقبلت جميع الشروط التى تقدم بها الحلفاء وبادرت بتنفيذها . ورأيناها فى الأسابيع الماضية تمنع عن ألمانيا صادرات الولفرام ، وهو مادة معدنية من المواد التى تشتمل على عنصر تنجستن ، وهو مادة ثمينة ليس لدى الألمان منها شىء ، فليس فى الأرض الألمانية ولا فى جميع الأقطار التى تسيطر عليها ألمانيا أثر من مادة الولفرام ، وهى من المواد اللازمة لصنع الصلب الصلد [illegible] .

كذلك قبلت أسبانيا أن تطرد الجواسيس المحوريين من [illegible] كش الأسبانية ، وأن تخرج قنصل ألمانيا [illegible] وقد طلبت إلى اليابان أن تلغى قنصليتها [illegible] فى تلك البلاد . كما أمرت تلك الفرقة الهزيلة التى تحارب فى روسيا بأن تعود إلى أرض الوطن العزيز . ولم يكتف زعيم أسبانيا بهذا ، بل بادر بإقصاء أحد الوزراء — وهو من أقاربه — لأنه من أنصار المحور المعروفين .

ولئن كانت أسبانيا حرمت بيع الولفرام إلى ألمانيا ، فإن الدول المتحدة — على وفرة ما عندها من الولفرام — سيشترون ما تنتجه منه بأثمان أعلى مما كانت تدفعه ألمانيا . ولا شك أن مقدرة الأمم المتحدة على التجارة والبيع والشراء أعظم من مقدرة دولة ألمانيا .

وهكذا نرى أسبانيا وقد لبس حيادها شكلا جديداً ، واصطبغ بلون جديد ، فهو حياد مشرب بروح العطف على الفريق المتفوق أو الذى يُظن متفوقاً . ومن يدرى ؟ لعل معظم الحياد فى هذه الحرب — لو حللناه — لا يختلف كثيراً من هذا الطراز الأسبانى .

محمد عوض محمد

خطاب

القاهرة في ١/٥/١٩٤٤

أخي العزيز .....

معذرة أن تأخرتُ في الكتابة إليك ، فقد مرضت مرضاً خطيراً طال شهرين .

لقد أضعف المرض جسمي ، ولكنه صهر نفسي ، أتاح لي أن أستعرض حياتي الماضية ، فرأيتني كنت أعيش فيها بالسطح دون العمق ، تشغلني التوافه ، وأطمح إلى أوهام ؛ فأخذت — في مرضي — أتعرف إلى الغرض من الحياة ، وأشتاق إلى تفهم معناها ، وأجتهد أن أجتلي حقيقتها المغطاة بالأشكال والأسماء ، وأبحث عن نقطة الاتصال بين الله والإنسان ، كأن نفسي كانت نبعاً مدفونا فتفجّر ، وكأن الله كان في السماء فصار في القلب .

لشد ما يكون الإنسان أقرب إلى ربه في مرضه [illegible] أحزانه ، وفي شدائده ، لأنه يطلب الرحمة [illegible] الأصدقاء والأقرباء ؛ وإنما يطلبها [illegible] ولا تقصر قدرته ؛ ولأنه في مثل هذه المواقف تتكشف له النفس الإنسانية فيراها ضعيفة بذاتها ، قوية بربها .

قلّبت — أثناء مرضي — في دفاتري القديمة ، فوجدتني قد نما عقلي وفتر قلبي ، ولوددت لو كان العكس . وأقسم أني لم أحزن على شيب رأسي كما حزنت على دبيب الشيب إلى قلبي ، فالقلب صلة الأرض بالسماء ، ومهبط الوحي من السماء إلى الأرض ، والقلب هو الحب ، وهو الانسجام ، وهو الجمال ؛ والقلب هو الدين ، وهو الأخوّة ، وهو الإنسانية ؛ وما الحياة بغير هذا كله ! إن العالم لم يسعد بنمو العقل بقدر ما شقي بضعف القلب ، إنه أهدى في الحياة من العقل ، إنه منبع السرور والألم ، إنه منار الحياة .

حُبب إليّ في مرضي التصوف ، والتصوف الحق سرّ الدين ، والفقه ظاهره ، فقرأت فيه كتابين ، كان خير ما فيهما الحديث عن القلب ، وخير الحديث عن القلب قصة جميلة قصّها متصوّف . قال : إن تاجراً ألهته التجارة عن صلاة الجمعة فما انتبه إلا في موعد الصلاة ، فتوضأ على عجل وأسرع إلى المسجد ، حتى إذا أدركه رأى رجلا خارجا منه ، فسأله متلهفاً : أتمّت الصلاة ؟ قال : نعم . فتأوّه التاجر آهة خرجت من أعماق قلبه . فسأله الرجل أتبيعني آهتك بصلاتي ؟ قال : نعم ! وتم البيع والشراء — ثم رأى التاجر النبي (ص) في المنام فعاتبه على بيعه ، وقال له : أتبيع نبض الحياة بعمل الجوارح ، وعصارة القلب بظواهر الحركات ؟! لقد غبنت أيما غبن في بيعتك .

وشغفت — في مرضي — بنوع من الصلاة لطيف ، أن أعبد الله في جمال الطبيعة ، وأعبده بالنظر إلى سمائه وأرضه وفي جميع خلقه ، وأقرأ في كل ذلك فنًّا دونه أي فن ، وقلبا ينبض بالحياة ، وموسيقى أنغام وجمال انسجام ، وإبداعا في التكوين ، ووحدة في الوجود ، وتدرجا في الارتقاء ، وحياة متكاملة في [illegible] ، « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » . [illegible] ما الموسيقى ؟ ما المثّال ؟ ما الشاعر ؟ ما الأديب ؟ كلٌّ رأى جمال الطبيعة من زاوية ، وقدّسه في نفسه ، وقلّده في فنه ، وفنى فيه تجلي نتاجه ، ورأى الله فيما تخصص فيه فآمن ولو كان ملحداً ؛ وآية إيمانه إقراره بأن جمال الطبيعة فوق جمال فنه ، وجلاله فوق جلاله ، وإحناؤه رأسه علامة الخضوع ، والإقرار بالعجز عن بلوغ شأوه !

غصون وأوراق وأزهار ، وجبال ووديان ، وبحار وأسماك ، ونجوم وسماء ؛ كلها تحيا حياة واحدة وإن تنوعت أجزاؤها وصفاتها ، ونفس إنسانية هي أعجب العجب ، وكل ذلك وحدة مرتبطة الأجزاء ، إن قرأت الألِف فيها قرأت الباء إلى الياء . وكما قال شاعر فارسي ظريف : « لما لم يكن للطفل أسنان كان لبن ، فلما كانت الأسنان كان الطعام الذي يناسب الأسنان » ؛ وكل شيء في العالم مرتبط هذا الارتباط .

* * *

بالأمس أخذت كرسيّ عصراً ، ونزلت إلى حديقتي المتواضعة ، وصعدت إلى السطح مساء في ضوء القمر الساحر . وكان قد استولى عليّ التفكير في نفسي ، ماذا صنعتَ في الحياة ؟ أكتفيتَ بأنك تخط بالقلم على القرطاس ، وتُخرج مقالا في صحيفة ، أو تنشر كتاباً تؤلّفه ، أكل هذا عملك في الحياة ؟ أما الانغماس في الحياة الواقعة وإصلاحها بقدر الطاقة ، فقد نفضت منها يدك ، فعاقبتك الطبيعة بشيء غير قليل من السأم ؛ فالطبيعة التي غرست في الإنسان المحافظة على ذاته غرست فيه المحافظة على نوعه ، فمن لم يحافظ على ذاته بَرِم بالحياة ، لأنه انحرف عن سُنّة الطبيعة ، ومن لم يحافظ على نوعه بعمل في خدمته عاقبته الطبيعة بالسأم والضجر ، لأنه خرج على قوانينها ؛ إنك أخذت في حياتك موقف « المتفرج » من رجال الإصلاح ورجال السياسة ورجال الدين ، وجلست تنظر إلى هؤلاء جميعا نظرك إلى ملعب كرة ، أو رواية في سينما ، أو منظر في تمثيل ، وتلذذت من هذه المناظر ... فكانت اللذة لنفسك والألم لنفسك لا للناس ؛ وحركت شعوراً خفياً بنوع من الإعجاب بنفسك ، لأنك استطعت أن تدرس هذا كله في جو هادئ ، كما تدرس موضوعا في مكتبتك ، وأن تنظر إلى المسائل الدينية والسياسية والاجتماعية من وجهها الصحيح ووضعها المستقيم ، فلم يصدك عن النظر الصحيح حرارة الحزبية ، ولم يُعمِك عن الحقيقة منافعك الشخصية ، ونظرت إلى المثلين في هذه الأمور كلها نظرة المؤرخ الصادق ، تذكر ما لكل شيء وما عليه . وأعجبك فهمُك لهذه المناظر ، إذ ترى أحيانا منظر طامع إلى المجد وإلى الشهرة وإلى المنفعة الشخصية يلبس على المسرح ثياب الطهر والنقاء والغرام بالصالح العام ؛ وترى حمين الرغبة في المال يلبس ثياب الزهد في المال ، والمتاجير بالدين أو الوطنية منح على المسرح لسانا طلقا يجعل الناس يؤمنون أنه يعمل ما يعمل لخدمة الدين والوطنية .

وأعجبتك نفسك إذ منحت في هدوئك ودراستك ومكتبتك ما مكّنك من رؤية المثلين قبل أن يضعوا في وجوههم الأبيض والأحمر والشعر المستعار والثوب المصطنع ، واستطعت بعقلك وخيالك أن تدخل عليهم في حجرة الملابس والزينة قبل أن يتصنّعوا ، ولكن هل من الحق أن تكون قابلا لا فاعلا ، و « متفرجا » لا ممثلا ؟!

وهكذا أعذل نفسي وأؤنبها ، لأنها رضيتَ أن تكون على هامش الحياة لا في صميمها ، وكان خيرا أن تنزل إلى الموقعة ، فإما قُتلت وإما قَتلت ، وإما كان الصدر وإما كان القبر ؛ ثم أرضى عنها وأحمد عملها ، لأنها عاهدت الله ألا تنطق إلا بصدق ، ولا تنتصر إلا للحق ، فإذا أمكنتها الفرص فعلت ، وإلا تنحّت ، ونفسك لا تصلح إلا لما عملت ، وكلٌّ ميسّر لما خلق له ، وحصانك لا يصلح إلا للسير في الطريق التي قطعتَ . فإن شئت طريقا آخر فغيّر حصانك إن استطعت ، ومثلك الأعلى إما أن تصنعه من حب المال والجاه والشهرة والمنصب ، وإما أن تصنعه من الحب ، حب الخير والفضيلة والجمال والحق ؛ ومعبودك الذي تعبده إما الوثن وإما الله ، ولا يمكن أن تجمع بينهما .

وهكذا كان العراك بيني وبين نفسي . ولا أكتمك أني عندما أخذت كرسيّ ونزلت إلى الحديقة كانت النظرة الأولى ، وعندما صعدت إلى السطح كانت النظرة الثانية .

أتستطيع أن تمثّل لي ذلك ، وأن تذكر لي أيّ النظرتين أحق وأصدق ؟ وما أصعب معرفة خبايا النفس لأنها آخر وأعقدُ ما حاولنا أن نستكشفه !!

لقد تمنّيت أن يصح جسمي وتبق نفسي صافية صفاءها في مرضي ، أحتقر توافه الدنيا ولا أعبأ بها . ولكن ها هو ذا يجري من جديد في جسمي فيحمل في ثناياه الشهوات التافهة والآمال السخيفة ، فما أحرى بالإعجاب أولئك الذين استطاعوا أن يحتفظوا بطهارة دمائهم على غزارتها وحيويتها .

* * *

المرأة في عاصمتين

للدكتور أحمد زكي بك

دخل عليّ صاحبي في غير ما أعهد من هدوء حال، وارتخاء بال. قلت: ما بك؟

قال: دَشٌّ ساخن أخذته توًّا.

قلت: أفي هذا الحر؟ إذن فَـثَوَرانٌ عن التيار.

قال: ليس الدَّشّ دشَّ ماء، ولكن دشًّا نفسانيًّا من الأدشاش التي تتلذَّع منها النفس احترارا، ثم يَندى لها الجبين فيبترد.

قلت: ما وراءك؟

قال: حادثٌ في الترام. في الدرجة الأولى. ثلاثة رجال ملأوا المقعد الأيمن. وثلاثة رجال ملأوا المقعد الأيسر. ودخل رجل عسكريٌّ أجنبي بعد ذلك فوقف. ودخلت امرأة من بعد ذلك فوقفت وسط القطار حينا دقائق والأيدي تتأرجح يمينا ويسارا من خشبة السقف وهي واقفة، والذكور جلوس. والرجل العسكري تَغلي نفسه من هذا المنظر حتى فاض صدره فانفجر.

قلت: كيف؟

قال: انفجر كبركان وانفجر: قال: ستة رجال كالبغال

تكوّمت شحومهم ولحومهم على المقاعد، بينهم امرأة تضطرب بلا سند كالريشة في مهب الريح، وليس منكم من يستحي فيقوم عن مجلسه لها.

قلت: فماذا صنعوا؟

قال: بُهِتُوا وصمتوا. إلا رجلا هزه ما قيل.

قلت: فقام عن مقعده؟

قال: لا، لم يهزّ للقيام، ولكنه اهتز للجواب. قال عربيا بلغة أجنبية سقيمة: «إن الله خلق لها رجلين كما خلق لنا». فقال له الرجل: «لقد هاتَ اللهَ أن يخلق لكم أربعا».

قلت: وبهذا حُسِم النزاع؟

قال: لا. فأسبابه كانت لا تزال قائمة. رجل أجنبيٌّ تعوّد في بلده أن يقوم الرجل الواحد لتقعد المرأة الواحدة، فإذا هو ينظر ستة من الرجال يقعدون وامرأة واحدة تقف، وذلك في مكان ضيق تتقابل فيها الوجوه وتمتنع المداراة. فأحسست بكم كأنكم ترون ما يرى. قال في إحدى دمدماته: «إني أتيت من بلد بعيد عبر البحار. وبلدي قرية صغيرة فوق جبل، ولا نعرف فيها الترام. ولكنا نعرف فيها كيف نحترم النساء، وكيف نفرّق بين المرأة والجاموسة». ثم استشاط غضباً فصاح بملء فيه: «يا كلاباً قذرة».

قلت: يا خبر! فماذا صنع الرجال الكرام عند هذه؟

قال: تصنّعوا أنهم لا يفهمون.

قلت: فماذا صنعت المرأة في الموقف المخجل.

قال: حاولتْ ما استطاعت أن تُهدّئ من ثائرة العسكري. فهمستْ له باسمة: «لا تَنْسَ أن هذا العصر عصر المساواة في كل شيء، حتى بين الرجل والمرأة، والقاهرة سبّاقةٌ دائماً إلى التطوّر».

قلت: وأنت؟ أين كنت من كل هذا، وكيف صمت ورأيت؟

قال: سؤالك هذا كان أخشى ما خَشيته. كنت

آسف لأني حدثتك كثيرا عن نفسي، وقد أردته خطابا، فلما بدأته نسيت فكان مقالا. فقد كنت في الصباح أكتب مقالا فسرت عدوى الصباح إلى المساء.

على كل حال أحسب صداقتنا تسمح لك أن تسر بعدي وهزل، ووقاري ولهوي.

اكتب لي كثيرا فكتبك تقع مني موقع الماء من ذي الغُلة الصادي.

أهلك وأصدقاؤك بخير يسلمون عليك.

أحمد أمين

أحد الرجال الستة .

قلت : أنت الذى عاش سنوات فى حيث تجلس المرأة ويقف الرجل ؟!

قال : والله لا أدرى ما الذى جرى . لقد كُنّا هناك يقوم الرجل المرأة على غير وعى ومن غير تدبير . أما هنا ، فالفكر يتدخّل دائماً ، فيوازى ويقارن ، ويستدعى العدالة لتحكم ، ويستدعى المعاذير . ووراء كل هذا طباع متأصّلة ، والمرء لطبعه عوّاد . لقد كان فينا نحن الستة من هو أقل منى سنّاً ، وأشبّ عضلا ، فتربّصت بأحدهم أن يقوم فخاب أملى . وكان فينا الجندى وقد هبطت على كتفيه الزُّهَرة والشترية ، والجندية موطن الشهامة ومظنّة النجدة ، فتربصت به أن يقوم فخاب أملى . وكان فينا طالب الجامعة ، وقد استخفى من عطاء رأسه ، وجرى فى رأسه النشط ، وافترق الشعر ، والتمع العطر ، وتدلّى على صدره الذيل الكبير الطويل يطلب أرضاً ، فقلت هذا الحداثة ، هذا العصرية [illegible] أن تنتهشها مصريةً وقفت عند الحد [illegible] فرصتى أنا بين هذا الانتظار وهذا التربّص [illegible] فى الجود ، والجود لا أحبّه إلا مُبادرة ، فبسط اليد يخجل من بعد قبضها ، والإقدام يبوخ من بعد إحجام . فاحتميت فى عزة الرافض حيناً ؛ وزادنى استمساكاً بعزة الرافض فورة هذا الرجل الأجنبى وثورته . وبقيت حتى هدأت الزوبعة .

قلت : فماذا صنعت من بعد هدوئها ؟

قال : تلطّفتُ فأعطيتُ مجلسى للسيدة .

قلت : إذن لطُف الجوّ من بعد ذلك وراق .

قال : ولكنها رفضت مجلسى بابتسامة عريضة ، وقالت : لا وشكراً . فلم أدر أيها كان أقتل لى ، ابتسامتها أم شكرها . وكأنما ثقُل عليها الوقف فأرادت أن تحسمه ، فنزلت من القطار ؛ ولما سار بنا ، رأيتها على بعد تستدعى سيارة أجرة . وتولّى الرجل الصخّاب من بعد ذلك ، وهنا انفتحت الأفواه المُغلقة ، وصاحت الألسنة كما تصيح السياط .

قلت : فى أى شئ ، وقعت السياط .

قال : وقعت فى عرض المرأة ، فكأنما كانوا عرفوا من تكون . وانطلقت النكتة بذيئة ، شبّروا بها هذه المرأة المجهولة من قمة رأسها إلى إخمصها . وربطوا نزول الرجل بنزولها على بعد الشُّقّة بينهما ، واستدعوا الوطنية يستعينون بها على ما هم فيه . والوطنية جميلة ، ولكن الإنسانية أجمل . والرجل كان رجلا ، والمرأة كانت امرأة ، والطفل العاجز طفلا ، قبل أن تتفرع الأسرة الإنسانيـة إلى غربىّ وشرقىّ وآرىّ وساىّ وحبشى ومصرى . وأى وطنية تكون بلا آداب ، وما إقحام الوطنية فى مثل هذه الآداب ؟! وقت بدورى من هذه الجماعة ، وقد امتلأ الجراب .

قلت : يهون عليك ، فما حال المرأة إلا بعض أحوالنا . أتسمع من قصة أخرى حدثت لى فى عاصمة أخرى من عواصم الشرق ، لترى أن الشرق فى حلبة المجد أفراس رهان ؟

قال : هات .

قلت : نزلت فى عاصمة الفـاسنة منذ سنوات على غير معرفة . وساقتنى الصدفة إلى لقاء رجل كريم ، له لحية سوداء ، وعمامة بيضاء ، وجلباب أسود . وكان ذا وسامة ومهابة . وعرفت منه أنه فقيه ، فأكرمتُ فيه فقهه . وعرفت منه بعد ذلك أنه لا يتّجر بالفقه ولكن بالحرير ، فأكبرت فيه تجافيه عن دين الله أن يتّجر فيه . وعرفت منه أنه ذو سابقة فى الثورة التى جناها الفرنسيون ، وأنه اقتحم البيوت فى إطفاء الحرائق ، واقتحم الحصون ، وتعرض للموت صريحاً ، فأعظمت فيه هذه المجموعة النادرة : دين وتجارة وحرب . وقلت ما هانت بلد أنجبتْ مثله . وحضر إلى الفندق مبكراً يطلب صحبتى فى المدينة ، فأكبرت فيه كرماً ، واستشفت شهامة . وجرت لنا معه أيام لم تتكشف

من الأدب المعاصر :

٤ — ميخائيل نعيمة

الوحدة حالة نفسية ، أو أزمة نفسية ألحة تعترى الشاعر وترافقه فى حياته فترة ما ، فتصحبه فى تطورات شعوره وانفعالات نفسه ، وتقلبات أفكاره ، فهى تتخذ من شعره مسرحاً تظهر عليه ألواناً مختلفة ، وأزياء كثيرة متباينة . وهذه الوحدة التى عند نعيمة جعلته صوفياً متزهداً ، فى شعره مسحة من الصوفية ، وبمراجعة قصائده يتبين ذلك . فالطالع مثلا لقصيدة : لو تدرك الأشواك سر الزهور ؛ وقصيدة الآن ؛ وحبل التمنى ، يجد فيها رنة من رنات الوحدة ونغمة من نغماته ، وهى ملازمة لروحه تأبى أن تفارقه . والشاعر لا يتأفف من وحدته فحسب ، بل يتبرم من هذه الحرب الضروس التى تشب نارها فى نفسه ، بين جسمه الأرضى وروحه العلوية السماوية ، والصراع بين كيانه الحق وكيانه الظاهر . . .

تعرض الحياة مشاهد شتى على الناس ، ولكن ليست كل عين ترى ، وليست كل نفس تشعر وتحس ، فما تراه هذه العين ، قد لا تراه تلك ، مع أنهما ينظران إلى مشهد واحد . فهذا يرى أشياء لا يراها صاحبه ؛ وقد تمر كلاهما بدودة صغيرة تدب على سطح الأرض فلا يراها أحدهما ، ولا تخطر فى ذهنه ، ويمشى فى سبيله ، وينطلق إلى حاله ؛ وقد يمر الثانى بها ، فتستوقفه الدودة ، ويرى فيها معانى كثيرة فى حركاتها ، ثم لا يلبث أن ينصرف ، وفى نفسه معان ، وفى ذهنه أشياء . ويمر أمام ذهنه شريط سينمائى ، ويصبح رأسه مسرحاً لأشباح وصور متعاقبة ، وقد لا يطول الوقت حتى ترى هذه الأشباح المتعاقبة صورها فى ذهنه قد تآلفت ، واندمجت تلك الرسوم وخرجت فى مقال أو قصيدة ، فتطالعها فتشعر كأن أشباحها مرت أمام عينيك ، ورسومها وضحت أمامك ، وأصواتها رنت فى أذنيك .

ونعيمة قد مر بدودة تدب على الأرض ، فأوحت إليه بقصيدة فيها كثير من المواقف الفلسفية والتأملات العميقة[1] وشاعرية نعيمة كالرحالة ، فهى دائمة التجوال بين الزهور ، وبلبلها ، فوق الروابى والآكام ، وعلى قمم الجبال الشاهقة وفى المنخفضات والوديان السحيقة ؛ وفى كل سياحة من هذه السياحات ، وفى كل جولة من جولاته يعود بآثار طريفة ، وذكريات قد حفرت فى قلبه فلا سبيل إلى نسيانها .

(١) سبق أن نقلت بعض الأبيات من هذه القص

حاله لنا فيها إلا عن أطيب المُثُل . وكان كريماً معواناً . وحدث من بعد ذلك أن جرى الحديث عن المرأة — عن زوجة له طلّقها . فقلت له : «خسارة!» فقال : «لا خسارة ولا شىء . إنها أم ولد ، كانت فبانت» . فحسبت أنه قصد إلى إعزازها بوصف أنها أم أولاده . ثم علمت أنه إنما قصد إلى أن المرأة ماعون يُهيَّأ فيه الطعام ، ثم يُلقى به فى الحوض عند بالوعة الماء ليُغسل من أوضاره . وقال فى زهو شديد : «إن النساء كالنعال تقدُم ، وعندئذ لا مفرّ من تجديدها» . أفتدرى كم كانت صدمتى منه وبليّتى فيه ؟

قال صاحبى : صدمةً من رائعة ، فلما حملها بين يديه ، وقعت فالكسر

قلت : نعم . كانت كتلةً من دمع على ورد وتُغرى نضارة ، وعلى وريقاتها ندى الصباح البا أردت ضمّها إلى صدرى وجدتُ فى قلبها بصقة ح

قال : فألقيتَ بها إلى الأرض ، ودهستها بالرجل

قلت : لا . أشفقتُ على نعلى أن تتسخ ، حرمة الورد أن تمتهن .

أحمد زكى

فهو قد رحل إلى أوربا سنة ١٩١٨ ضمن الجيش الأمريكي ليحارب في صفوف جيش الحلفاء، ولم يلبث هناك كثيرا حتى رجع إلى الولايات المتحدة وقد تحطمت مثله العليا على صخرة الحقيقة القاسية. رجع نعيمة وفي جعبته كثير من ذكريات الحرب وآثارها، وقد تألمت نفسه لهذه الذكريات المرة؛ فهو في تلك الفترة لم يكن يسمع إلا دندنة الرصاص أو زئير المدفع، أو زفير الجرحى وأنين المحتضرين. وقد تجمعت هذه الذكريات وألفت فيما بينها قصيدة أخي[2]، وفي هذه القصيدة يقول:

أخي إن ضج بعد الحر   ب غربي بأعماله
وقدس ذكر من ماتوا   وعظم بطش أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا   ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتا مثلي   بقلب خاشع دام
لنبكي حظ موتانا

أخي، إن عاد بعد الحر   ب جندي لأوطانه
وألقى جسمه المنهو   ك في أحضان خلانه
فلا تطلب إذا ما عد   ت للأوطان خلانا
لأن الجوع لم يترك   لنا صحبا نناجيهم
سوى أشباح موتانا

أخي إن عاد يحرث أر   ضه الفلاح أو يزرع
ويبني بعد طول الهج   ر كوخا هده المدفع
فقد جفت سواقينا   وهد الذل مأوانا
ولم يترك لنا الأعدا   ء غرسا في أراضينا
سوى أجياف موتانا

أخي، قد تم ما لو لم   نشأه نحن ما تما
وقد عم البلاء ولو   أردنا نحن ما عما
فلا تندب فأذن الغيـ   ر لا تصغي لشكوانا
بل اتبعني لنحفر خنـ   دقا بالرفش والمعول
نواري فيه موتانا

أخي، من نحن، لا وطن   ولا أهل ولا جار
إذا نمنا، إذا قمنا   ردانا الخزي والعار
لقد خمت بنا الدنيا   كما خمت بموتانا
فهات الرفش واتبعني   لنحفر خندقا آخر
نواري فيه أحيانا

فهو هنا قد وقف على كثير من حقائق الحياة وشدائدها، وذاق من مرها الشيء الكثير، وقاسى من ألمها ما قاسى، وخلص من تأملاته العميقة ومن اختباراته بأن السبب في نكبات الإنسانية إنما هي الأطماع التي لا حدود لها، والتي تسيره حسبما شاءت فيسير حائما وراء الأطماع.

ونعيمة يؤمن بجمال الطبيعة، ويشعر بجمالها الأخاذ في نفسه، ويرى خلف مظاهر الطبيعة الفاتنة ومشاهدها الخلابة ومجاليها الرائعة صورة الإله؛ وهو يحاول أن يضم الحياة بأسرها إليه، ويشعر بجمال الطبيعة تسري في نفسه، فيحس بنشوة، ويشعر بحالة نفسية تطوف به، فينطلق ليجد الله. وقصيدته النهر المتجمد[1] خير شاهد على ذلك:

يا نهر هل نضبت مياهك   فانقطعت عن الخرير؟
أم قد هرمت وخار عز   مك فانثنيت عن المسير؟
بالأمس كنت مرنما   بين الحدائق والزهور
تتلو على الدنيا وما   فيها أحاديث الدهور
بالأمس كنت تسير لا   تخشى الموانع في الطريق
فاليوم قد هبطت عليـ   ك سكينة اللحد العميق
بالأمس كنت إذا أتيـ   تك باكيا سليتني
واليوم صرت إذا أتيـ   تك ضاحكا أبكيتني
بالأمس كنت إذا سمعـ   ت تنهدي وتوجعي
تبكي وها أبكي أنا   وحدي ولا تبكي معي
ما هذه الأكفان؟ أم   هذي قيود من جليد
قد كبلتك وذللتك   بها يد البرد الشديد
ها حولك الصفصاف لا   ورق عليه ولا جمال
يجثو كئيبا كلما مر   ت به ريح الشمال

(١) الرسالة: ع ٣٢٥ (٢٥/٩/١٩٣٩).

(٢) الهلال أبريل ١٩١٨ نقلا عن الفنون.

والحور يسحب فوق رأ سك تاجاً أغصانه
لا يبرح الحسون فيـ ـه مردداً ألحانه
ثانيه أسراب من الغر بان تنعق في الفضا
فكأنها ترثي شباباً من حياتك قد مضى
وكأنما بنعيبها عند الصـ باح وفي المساء
بوق يشيع جسمك الفـ انى إلى دار البقاء
لكن سينصرف الشتا وتعود أيام الربيع
فتفك جسمك من عقا ل مكنته يد الصقيع
وتنكر موجتك الفتـ ية حرة نحو البحار
حبلى بأسرار الدجى تحلى بأحلام النهار
وتعود تبسم إذ يلا طف وجهك الصافي النسيم
وتعود تسبح في سيا هك أنجم الليل البهيم
والبدر يبسط من سماه عليك ستراً من لجين
والشمس تنثر بالأزاهر منكبيك [illegible]
والحور ينسى ما اعتراه من الحسرات والمحن
ويعود يشمخ أنفه ويميس غصن [illegible]
وتعود للصفصاف بعـ د [illegible] أيام الشبا
فيغرد الحسون فوق غصو نه بدل الغراب
قد كان لي يا نهر قلـ ب ضاحك مثل المروج
حر كقلبك فيه أهـ واء وآمال تموج
قد كان يضحي غير ما يمسي ولا يشكو الملل
واليوم قد جمدت كوجـ هك فيه أمواج الأمل
فتساوت الأيام فيه صباحها ومساؤها
وتوازنت فيه الحياة نعيمها وشقاؤها
سيان فيه غدا الربيع مع الخريف أو الشتاء
سيان نوح البائسـ ين وضحك أبناء الصفاء
نبذته ضوضاء الحيا ة فمال عنها وانفرد
وغدا جماداً لا يحن ولا يميل إلى أحد
وغدا غريباً بين قو م كان قبلاً منهم
وغدوت بين الناس لغـ زاً فيه لغزٌ مبهم

يا نهر ذا قلبي أراه كما أراك مكبلا
والفرق أنك سوف تنشط من عقالك وهو لا

فهذه القصيدة أعدها من أروع الشعر العربي الحديث ولا أشك في خلودها وبقائها على الأيام ما بقيت في الإنسان عاطفة، وما دام شعوره حياً.

وهذه القصيدة تصف الطبيعة الغربية، وقد افتتن بها كثير من الأدباء والشعراء المعاصرين.

يرى ميخائيل نعيمة أن الوزن ضروري للشعر، لذلك تراه لا يخرج عن الأوزان المألوفة في الشعر العربي في مختلف عصوره. ولكنه يرى إلى جانب هذا أن القافية ليست من ضروريات الشعر، ولا سيما إذا كانت كالقافية العربية روي واحد يلزمها في كل القصيدة؛ فإذا ما ترك اللفظ مرة واحدة، عد ذلك عيباً في الشعر، وهذه مسألة معروفة في علم العروض.

والمطلوب من نعيمة ينزع إلى قواف متنوعة مختلفة، [illegible] الروي، وهذا واضح في شعره؛ ولا أدل على ذلك من قصائده «تنهيدة الرياح» و«قبور تدور» و«النهر المتجمد» و«من أنت يا نفس» و«صدى الأجراس» وغيرها.

أما قوالبه الشعرية فتجمع بين السلاسة والجزالة، ورقة الألفاظ وبساطة الأسلوب، فلا يلجأ إلى الألفاظ الضخمة والكلمات الرنانة.

وأسلوبه جميل، وهو يحمل شعوره وصدى نفسه، لأنه لا يلجأ إلى الصنعة، لذلك كان شعره خارجاً من النفس، فكان قريباً من النفس.

ونعيمة في بعض الأحايين يخالف النحو في قواعده، والصرف في قوانينه، ولكن ذلك في درجة محدودة جداً، ونادرة جداً.

لذلك كان نعيمة من أصح شعراء المهجر أسلوباً، وأقربهم إلى الصحة والبيان العربي القويم.

إبراهيم مجهول الدرب

مقلاع داود

تزدحم في رواية من روايات «أناتول فرانس» ، وقد مرت من قراءتها في هذا الأسبوع ، أفكار شتى في الفلسفة والاجتماع والسياسة والاقتصاد وما شاكلها . ولكن هذه الأفكار لا يعرضها صاحبها على شكل جامد ، فهي تأتي متقطعة مختصرة في أثناء الرواية ؛ وقد يكون هذا الطراز من العرض في مذهب الأدب الحديث أعمل في القلوب وأسهل دخولاً على الأذهان ؛ قد يكون هذا النمط من تلخيص أفكار في موضوعات رفيعة ، سواء أعرضت هذه الأفكار في قصة أم في رواية ، أشدّ استمالة للقارئ ، ولكن ليس هذا موضوعي في مقالي ، وإنما موضوعي فكر من هذه الأفكار . فقد كان بطل الرواية يبسط لابنته أمراً في الاجتماع ويقول لها : كل جماعة ذهب التناسب بين أعضائها وبين الوظائف التي خلقت لها فسدت الأعضاء وآل مصيرها إلى الفناء ، وقد تسبق هذا الفناء اضطرابات شديدة واختلالات قوية فتنذر بقربها .

وقد سألته ابنته في خلال شرحه لهذه المذاهب وأشباهها هذا السؤال : كيف نستطيع منع الظلم ، كيف نستطيع تغيير العالم ؟ فقال لها :

« بالكلام ! لا شيء أعظم سلطاناً من الكلام ، فإن تسلسل البرهانات القوية والأفكار الرفيعة إنما هو الأمر الذي لا سبيل إلى نقضه ؛ مَثَل الكلام كمثل مقلاع داود ، فإنه يحطم الأشداء ، ويرمي بالأقوياء ؛ الكلام إنما هو السلاح الذي لا يكسر ، ولولا ذلك لكان العالم عبداً للجيوش المتوحشة ، فمن الذي يجبر الأشداء والأقوياء على حرمة غيرهم ، الفكر وحده ، الفكر المجرَّد ، العريان ، دون أي جيش كان ! »

أعجبني تشبيه سلطان الكلام بمقلاع داود ، والعرب تقول في هذا الباب : رُبَّ قول أنفذ من صَول ، وقد أخذت بعد الفراغ من هذه العبارة أتأمل قوتها ، وأنظر في شدتها ، أخذت أتذكر ما استطاع الكلام في غابر الدهور وحاضرها أن يعمله ، فقد ثلّت عروشاً وقوّض عروشاً ، وحلّ عُضلاً وخلق عُضلاً ، وأنشأ صداقة وجرّ عداوة ، وأطفأ نيراناً وأجّج نيراناً ؛ ولو شئت أن أدل على سلطان الكلام لوجدت المجال واسعة ، وإنما خطرت ببالي جملة من الأمور كان للكلام فيها الأثر الأبلغ ، وقد كان يجب عليّ أن أشير في هذا المقام إلى خطب زياد أو الحجاج لأنها أشبه شيء بمقلاع داود ، وإنما تعدّيتها لشهرتها .

كلنا نعرف حال الناس بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فدهش أولئك الناس ، فكأنهم لا يصدقون أن النبي يموت ، فلما قال لهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه : أيها الناس ! من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين » .

لقد قرأنا هذا الكلام ، ولكن لست أدري هل تدبرناه حق التدبر ، هل أعطيناه حقه من النظر ، هل فكرنا في العمل الذي عمله هذا الكلام ؟ لما سمعه الناس خرجوا من دهشتهم واستفاقوا من غشيتهم ، ورجعت إليهم عقولهم وثابت فيهم حواسهم ، وإذا بالأمر الجليل وهو وفاة نبي خلق أمة ، وجاء بدين ، وأخرج قوماً من عالم إلى عالم ، وأدخل عليهم أفكاراً لا عهد لهم بأمثالها ، وعواطف لا صلة لهم بأشباهها ، إذا بالأمر الجليل يعود أمراً مثل كل أمر ، فيندفع الإسلام في نموّه وإن ذهب صاحبه ، ويستفيض هذا الدين في مجامع الآفاق ؛ فلولا كلمة قالها أبو بكر في حينها لما علم إلا الله وحده عواقب دهشة المسلمين من وفاة نبيهم .

وكما كان للكلام سلطان في تثبيت أمة وتثبيت دين ، فقد كان له سلطان في تثبيت دولة ؛ امتنع أهل مصر في الماضي عن الخراج ، فقدم مصر عتبة بن أبي سفيان ، فقام خطيباً فقال : يا أهل مصر ! قد كنتم تعتذرون لبعض المنع منكم ببعض الجور عليكم ، فقد وليكم من يقول ويفعل ، ويفعل ويقول ، فإن رددتم ردكم بيده ، وإن استعصيتم ردكم بسيفه ، ثم رجا في الآخر ما أمل في الأول . إن البيعة متتابعة ، فلنا عليكم السمع والطاعة ، ولكم علينا العدل ، فأينا غدر فلا ذمة له عند صاحبه ، والله ما انطلقت بها ألسنتنا حتى عقدت عليها قلوبنا ، ولا طلبناها منكم حتى بذلناها لكم ناجزاً بناجز ، ومن حذر كمن بشر .

فنادوه : سمعاً وطاعة ، فناداهم : عدلاً ! عدلاً !

فهذا كلام لم يلجأ فيه عتبة بن أبي سفيان إلى سوط أو إلى سيف ، ولولا قوة هذا الكلام لأمعن أهل مصر في منع الخراج عن الدولة ، وإذا منع الخراج فكيف يكون مصير الحكومات ، وأي حياة لدولة لا جباية فيها للخراج ؟! فإذا تباعدت المسافة بين الشعب وبين الحكومة ، فكر الشعب حكومته تخرج على قوانينها وتمنع عنها خراجه ، ونقمت الحكومة على الشعب فصبّت عليه نقمتها ، ضاعت الحكومة والشعب في وقت واحد . وقد أدرك عتبة هذا كلّه ، فسأل أهل مصر السمع والطاعة وسألوه العدل ، فأعطوه سمعهم وطاعتهم وأعطاهم عدله ، فعاش أهل مصر وعاشت الحكومة في خير . كل هذا بفضل كلمة كانت أشد من مقلاع داود ، ولكنها اشتملت على الحياة ولم تشتمل على الموت ، لأنها مصدر برهان قاطع وفكر رفيع ، وهذا الفكر أوحى به قلب صادق ؛ ومتى اجتمع إلى شدة الكلام رفعة الفكر وصدق القلب ، نفذ هذا الكلام أعماق القلوب ، وعمل فيها ما تعمله الجيوش !

وقد يكون الكلام سبباً في تثبيت رجال الدولة كما كان سبباً في تثبيت الدولة نفسها . بلغ عبيد الله بن زياد أن سلمة بن ذؤيب الرياحي قد جمع الجموع يريد خلعه بعد موت يزيد بن معاوية ، فصعد عبيد الله المنبر فقال : يا أهل البصرة ! انسبوني ، فوالله ما مهاجر أبي إلا إليكم ، وما مولدي إلا فيكم ، وما أنا إلا رجل منكم ، والله لقد وليكم أبي وما مقاتلتكم إلا أربعون ألفاً فبلغ بها ثمانين ألفاً ، وما ذريتكم إلا ثمانون ألفاً وقد بلغ بها عشرين ومائة ألف ؛ وأنتم أوسع الناس بلاداً ، وأكثره جنوداً ، وأبعده مقاداً ، وأغنى الناس عن الناس . انظروا رجلاً تولونه أمركم ، يكف سفهاءكم ، ويجبي لكم فيئكم ، ويقسمه فيما بينكم ؛ فإنما أنا رجل منكم . فأبوا غيره !

فهذا الكلام ثبت عبيد الله بن زياد إمارته ، ولكنه دخل الأمور من أبوابها ، فقد أخذ باللين ولم يأخذ بالعنف ، [illegible] عصيبة بعد موت يزيد بن معاوية ، فلابد له في مثل هذا الوقت من [illegible] ، ولو كان ملك الأمر على نحو ما [illegible] يضطره إلى العنف ؛ ولئن استعطف أهل البصرة فلقد عرف كيف يستعطفهم ، ذكرهم بهجرة أبيه إليهم ، وبنشأته بين ظهرانيهم ، ولا شك في أن هذه الذكرى تتضمن كثيراً من موجبات العطف ! ثم خرج من أفق العاطفة إلى أفق العقل ، فلخّص لهم أعمال أبيه في البصرة مثل تكثير الجيش وتكثير الذرية وتكثير الثروة ، وهذه أمور فيها صلاح البصرة ! ولكن كلام عبيد الله بن زياد لم يعمل في أهل البصرة عمله إلا لأنه صورة سياسة رشيدة ، وفي اختياره لهذا الطرز من الكلام تأثير في التنبيه على هذه السياسة والإشارة إلى محاسنها ؛ فلولا كلام عبيد الله ابن زياد ، ولولا فكره في مقام مثل هذا المقام ، لما استطاع أن يملك زمام الأمور والفتنة على الأبواب ، ولا يعلم إلا الله مصيرها !

(دمشق) شفيق جبري

الشعر المستعار

عند الأقدمين

بقلم كوركيس عواد

إنْ كان المدنية الحديثة يدٌ طولى في ابتكار أساليب التجميل ، والتفنّن في ضروبها ، فإنّ المدنية القديمة لم تعدم نصيبها من هذا الشأن . وقد وقفنا على أخبار شتّى تدلّ على ما كان من عناية الأقدمين بستر معايب الجسم ، وإخفاء نقائصه ، والظهور بمظهر رضى مقبول . ومن ذلك اتخاذ الشَّعر المستعار ، أى المصطنع للرأس أو اللحية . فقد قال أبو الفرج الأصفهانى فى جملة مرويّاته : « إن ابن سُرَيْج المغنّى الشهير « بلغ خمساً وثمانين سنة ، وصَلِعَ ، فكان يلبس جُمّة مركّبة ، وكان أكثر ما يرى مقنّعاً . . . » ثم قال فى الصفحة ذاتها : « صَلِعَ ، فكان يلبس جُمّة ، وكان لا يمشى إلا مُقنَّعاً يُسْبِل القناع على وجهه »[(١)] .

ونظير ذلك ما رواه الأصفهانى فى حكاية طريفة ، جاء فيها أن جميلة المغنّية الذائعة الصيت « جلستْ يوماً ولبستْ بُرْنُساً[(٢)] طويلاً ، وألبستْ من كان عندها والبس دون ذلك . وكان فى القوم ابن سريج ، وكان قبيح الصلع قد اتخذ وَفْرَةً[(٣)] شعر يضعها على رأسه . وأحبّت جميلة أن ترى صلعته ، فلما بلغ البُرْنُس إلى ابن سريج قال : دُرْتِ علىّ ورب الكعبة ! وكشف صلعته ووضع القَلَنْسُوَة على رأسه ، وضحك القوم من قُبح صلعته »[(٤)] .

إلى أن قال : « ثم دعت بثياب مُصبَّغة ووفرة شعر مثل وفرة ابن سريج ، فوضعتها على رأسها ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا . . . »[(١)] .

ومما رواه الأصفهانى فى هذا الصدد ، أنّ جميلة هذه « جلستْ يوماً للوفادة عليها ، وجَعلتْ على رؤوس جواريها شعوراً مُسْدَلة كالعناقيد إلى أعجازهنّ ، وألبستهنّ أنواع الثياب المصبّغة ، ووضعت فوق الشعور التيجان ، وزيّنتهنّ بأنواع الحلى . . . »[(٢)] .

ومن هذا القبيل وضع اللحى المصطنعة ؛ فقد كان بعض المحدّثين « لا يقبل فى مجلسه من لم يكن ملتحياً ، خوفاً من قصص الغرام فيما يظهر . ويُذكر أنّ صبياً كان شديد الرغبة فى سماع الحديث ومُنِعَ من ذلك ، فاتخذ لنفسه لحية مصطنعة »[(٣)] .

وأقدم ما انتهى إلينا من أخبار اللحى المصطنعة ، ما رواه الطبرى فى خبر طويل ساقه فى هرب زيد بن المهلب من سجن الحجاج سنة ٩٠ للهجرة (٧٠٨ م) ، فقال : « . . . ولبس زيد ثياب طبّاخه ، ووضع على لحيته لحية بيضاء وخرج . فرآه بعض الحرس فقال : كأنّ هذه مشية زيد ! فجاء حتى استعرض وجهه ليلاً ، فرأى بياض اللحية ، فانصرف عنه فقال هذا شيخٌ . . . »[(٤)] .

وهذا الخبر بعينه نقله ابن الأثير[(٥)] عن الطبرى باختلاف يسير ، ولا حاجة إلى إيراد قوله .

(بغداد) كوركيس عواد

(١) الأغانى (١ : ٢٤٩ طبعة دار الكتب المصرية) .
(٢) البرنس على ما فى تاج العروس (٤ : ١٠٨) قلنسوة طويلة كان الناس يلبسونها فى صدر الإسلام .
(٣) الوفرة وجمعها الوفار : ما سال من الشعر على الأذنين .
(٤) الأغانى (٨ : ٢٢٦) .

(١) الأغانى (٨ : ٢٢٧) .
(٢) الأغانى (٨ : ٢٢٧) .
(٣) متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى (الترجمة العربية ١ : ٣٠٣) .
(٤) تاريخ الطبرى (٢ : ١٢٠٩ طبعة دى غوية) .
(٥) الكامل فى التاريخ (٤ : ٤٣٢ طبعة تورنبرج) .

أدباء الأمم العربية

ودعوتهم إلى عقد مؤتمر عربي

منذ أكثر من عشر سنوات والدعوة إلى عقد مؤتمر لأدباء الأمم العربية ، أمنية تراود مخيلة الكثيرين من أدباء ومثقفي الأقطار العربية ، منوهين بواسطة الصحافة والإذاعة والمحاضرات والاجتماعات بضرورة عقد هذا المؤتمر ، ليساعد على معرفة أعلام الأدب والشعر والبيان في الأقطار العربية بعضهم مع الآخرين ، فيوحدوا جهودهم الأدبية ، ويرفعوا من شأن الفكر العربي ليأخذ مكانته بين آداب الأمم الأخرى .

وقد ارتفع أول صوت بالدعوة لعقد مثل هذا المؤتمر من تونس ، وذلك في عام ١٩٣٤ حيث قام أدباؤها بالتمهيد لهذا المؤتمر ، فأذاعوا مختلف النشرات [illegible] التحضيري لصحافة البلاد العربية وقادة الفكر [illegible] وكتبت الصحافة العربية حينذاك منوهة بضرورة إجابة هذه الدعوة والسعي لنجاح هذا المؤتمر ، وحثت أدباء العربية على لزوم مساعدة الساعين لعقده ؛ ولكن مرت شهور ما لبثت بعدها هذه الدعوة أن خابت لعدم تلبية الأدباء لها .

ثم مات شوقي واجتمع لتأبينه في القاهرة أعلام الشعر والأدب ، وفكر بعض الأدباء في ضرورة عقد مؤتمر أدبي يجمع أدباء الأمم العربية سنويا في إحدى عواصم البلاد العربية ؛ وأذيع في وقته أن لجنة تحضيرية قد تشكلت لدرس هذا الموضوع الذي وافق الإجماع من الأدباء ، ولكن ما لبث أن عاد هؤلاء الأدباء والشعراء كل إلى بلده ، وماتت الفكرة في القاهرة .

وبعدها ارتفع صوت من لبنان وأحزنه صوت الأستاذ (إبراهيم سليم النجار) صاحب جريدة الديار البيروتية ، والباحث المؤرخ في الشؤون العربية ، فنادى بإحدى المناسبات بعقد مثل هذا المؤتمر الأدبي ، الذي ستكون فائدة اللغة والأدب منه جليلة ، علاوة على الدوي والسمعة التي يكتسبها أدباء العرب من اجتماعهم ، وتبادلهم شؤون الفكر وما جد من التيارات الأدبية في العالم . وسيكون من شأن هذا المؤتمر توجيه الأدباء نحو السبل المؤدية إلى خدمة الأدب العربي ، ناهيك عن إزالته بعض الضغائن الموجودة بين الأدباء ، ولكن هذا الصوت أيضاً ذهب مع الريح ...

وبمناسبة الاحتفال بالشاعر العربي أبي العلاء المعري لمرور ألف عام على مولده ، واهتمام كافة البلاد العربية بتمجيد هذه الذكرى لشاعر ملأ الدنيا دوياً ، ارتفع صوت من مصر على صفحات مجلة « الثقافة » ينوه بكثرة المؤتمرات المختلفة التي تعقد الآن في عواصم البلاد العربية ، وتزاور رجال السياسة العرب واجتماعاتهم ويقول :

« وأتمنى مخلصاً أن تعقد هذه المؤتمرات كلها ويجتمع [illegible] بعضهم مع بعض ويتزاورون ، ولا يفكر أهل الأدب في مؤتمر يجمع أدباء مصر إلى أدباء الشام والعراق والجزيرة وبلاد المغرب ، وهم كانوا أولى بالسبق ... »

ثم تمنى الكاتب أن يكون المؤتمر الذي يعد له الآن في سوريا احتفاء بذكرى أبي العلاء ، والذي سيشترك فيه أعلام أدباء وشعراء البلاد العربية نواة لمؤتمرات عربية يجتمع فيها أدباء الأمم العربية كل عام ، في القاهرة أو غيرها من عواصم الشرق العربي .

هذا ما كتبه الأستاذ الأديب (قطب) في الثقافة ؛ وطالعت بعد أسبوع مقالا للأديب السوري المعروف الأستاذ صلاح الدين المنجد في مجلة (العالمان) ألحف فيه بضرورة عقد مثل هذا المؤتمر الأدبي ، مؤكدا أن الاتحاد الروحي لابد أن يتم قبل الاتحاد السياسي ، وهو يعتقد أن هذا المؤتمر إذا لم ينتج عنه إلا أنه يرفع الحجر بين الأدباء ، ويزيد في التآلف والصفاء ، ويقوى العطف والمودة ، ويوحد

الهوى ، فهو يكفي .

والحقيقة أن ما دعت إليه مجلة الثقافة وما كتبه باقي الأدباء جدير بالتفكير وإنعام النظر ، حيث إن الدعوة إلى عقد مؤتمر لأدباء العرب من أهم ما يتطلبه الوضع الحاضر في البلاد العربية ، التي تريد أن تجمع كيانها السياسي في اتحاد عربي يضاعف من قوتها ، ويساعد على نموها في كافة شؤون الحياة .

إن حاضر البلاد العربية الآن يتمخض عن أمور جسام ، ويجتاز مرحلة دقيقة من تاريخها الحافل بمختلف التيارات ، لذا يجب توجيه هذه الشعوب منذ الآن نحو الأهداف الكافلة لتوحيد كيانها ومعرفتها وثقافتها ، وجميع ما يتطلبه وضعها من تهذيب وإصلاح .

وليس بإمكان ساسة هذه الشعوب القيام بكل هذه الأمور ، بل ليس بإمكانهم عمل أي شيء على الإطلاق إذا لم يتعاون معهم رجال الأدب في هذه البلاد [illegible] تهيئة الرأي العام وإرشاده إلى الطريق [illegible] وتنمية مداركه والسير به في طريق التكامل والتطور . ولا يتم هذا إذا كان أدباء الأمم العربية متباعدين ومتفرقين ومتخاصمين ، لأن أصواتهم حينذاك لا يتردد صداها وفق ما تريده لوثبة الأمة العربية وخلق الوعي فيها ، وإصلاحها السياسي والثقافي ، بل يجب عليهم أن يتعارفوا ويجتمعوا ويتحابوا لكي يكون هناك اتفاق عام حول الإصلاح المنشود .

وهذه هي الثانية من السعي في سبيل عقد (مؤتمر لأدباء الأمم العربية) ، يجتمع فيه أدباء العرب من مصر ولبنان والعراق وسوريا وفلسطين والجزيرة العربية وبلاد المغرب ، فيتعارفون ويتآلفون ويتباحثون في مشكلات بلادهم ، وتوجيه الجماهير العربية نحو الهدف الذي يكفل سعادتها وهناءها ، وينير لها المستقبل على ضوء هدى هؤلاء الأدباء وقادة الفكر .

فالاتحاد العربي الذي تتهيأ البلاد العربية لدخوله بعد مشاوراته في القاهرة ، لم يكن سوى فكرة أدبية مهد لها الأدباء والكتاب بأقلامهم وبحوثهم منذ سنوات حتى تهيأ الرأي العام العربي له ، ونضج في أذهان ساسته ، فكانت النتيجة أن توصلت الأمم العربية إلى أولى درجات الوثبة العربية .

ثم هناك مشاكل في الأدب والنقد والتأليف في البلاد العربية ، سيكون من شأن هذا المؤتمر تنظيمها وتوجيهها وفق السبل التي يراها كفيلة بنهضة الأدب العربي ليجاري آداب الأمم الكبرى في مادته وعمقه .

ويقيني أن مؤتمر الأدباء الأمم العربية إذا تم عقده ستكون نتائجه أعظم بكثير من عشرات المؤتمرات التي عقدت ولا تزال معقودة في مختلف عواصم البلاد العربية ، وليس هناك أي محذور يمنع عقد هذا المؤتمر إذا رغب الأدباء في ذلك . ولكن يجب أيضاً على الحكومات العربية أن تشجع مثل هذه المؤتمرات الأدبية التي تعقد في بلادها [illegible] أسبابها المادية والمعنوية ، لكي تضمن نجاحها وفائدتها للإصلاح الاجتماعي واللغة والأدب .

أما عن أعمال المؤتمر ، والمجلة التي يصدرها ، والمشروعات التي يقوم بها ، والتوجيه الذي يسير عليه ، فهذا من شأن أعضائه وما سيقررونه . وإنما الذي يهمنا ألا تذهب مثل هذه الدعوات سدى ، بل يجب على أعلام الأدب العربي أن أن يفكروا سريعاً في عقد مثل هذا المؤتمر الذي ستكون نتائجه عظيمة للأمة العربية ولثقافتها وأدبها .

(بغداد) مهدي القزاز

سيد الصين وأديبها

بقلم إرنست هاوسر

السفير هو شيه أحد رجلين يعتبران مسؤولين إلى درجة بعيدة عن وجود الصين الديموقراطية الحديثة. فقد كان صن يات — سين منشئها السياسي، في حين كان «هو شيه» عميد كلية الآداب بجامعة بكين في ذلك الحين واضع الأسس الفكرية التي ما كان للصين أن تنهض بدونها وتوجد كيانها الأصيل. ولسوف تدعوه القرون القادمة «أبا النهضة الصينية».

مجّ فلاسفة الغرب في أخريات القرن التاسع عشر روح الغرب المادية، وأظهروا امتعاضهم منها وامتدحوا «حكمة الشرق». واعتبرت نظم الحياة التي كانت تسود الصين منذ ألفيّ سنة سابقة — بأشواط بعيدة — أية مدنية من المدنيات السائدة خارج القارة الآسيوية. ولقد جاهد هو شيه أكثر من سواه لترويج تلك الفكرة، وأشار إلى أن نظام العمل الصيني ومستوى المعيشة المنحط ليسا من آثار الروح المثالية العالية، وإنما هما من نتائج الانحطاط وفقدان الحضارة. وكذلك رأى هو شيه أن الصين تحتاج — أول ما تحتاج — إلى لغة جديدة. واسمه في عالم الإصلاح اللغوي يسطع إلى جانب اسميّ دانتي وشوسر؛ وهو — مثلهما — مجدّد الحوار الدارج في عصره وبين قومه، وجعل منه أدبا رفيعا. ولقد ظلت الكتابة الصينية تعتبر لغة مصوّرة يعزّ فهمها إلا على الأدباء. وكان لابد لمن يريد الإلمام بها إلماما عاديا أن يعرف زهاء ٤٠٠٠ حرف.

وتحقق هو شيه منذ بدء تعلمه الكتابة أن اللغة الصينية في حاجة إلى تنقيح وتجديد. فبدأ حملته في عام ١٩١٦ عندما تخرج في جامعة كولمبيا. وحدث أن انطلق طائفة من أصدقائه في نزهة بحرية يجدّفون، فهبت زوبعة قلبت الزوارق، وسقط أفراد الجماعة في الماء. وتخليدا لهذا الحادث نظم أحد أفراد الجماعة قصيدة باللغة الصينية القديمة، وبعث بها إلى هو شيه لنقدها. ولقد كان الاختلاف بين موضوع القصيدة وطريقة عرضها، داعيا إلى أن يكتب مقالا جعل عنوانه المتواضع «طائفة من المقترحات التجريبية لتجديد الآداب الصينية». ولقد أثار نشر ذلك المقال في إحدى المجلات الصينية المتطرفة تعليقات كثيرة.

وغالبا ما كان كتّاب الصين القدماء يستخدمون اللغة المصوّرة لإخفاء ما يقصدون إليه من معنى لا لإظهاره وجلائه. مثال ذلك ما أُثر عن كونفوشياس إذ قال: «[illegible] تجهل الحياة فكيف تعرف الموت؟». واستخدم هو شيه حروف الكتابة القديمة نفسها، ولكنه قال في [illegible] «إذا أنت لم تعرف شيئا من الحياة، فكيف تستطيع أن تفهم معنى الموت؟»، وطعّم لغة الكتابة بثروة من المفردات العامية الدارجة. وكانت النتيجة أن ظهرت لغة جديدة اسمها «باي — هويا» ومعناها «الحديث الواضح».

وعندما عاد هو شيه إلى الصين التحق بالجامعة الوطنية مدرّسا وهو في السادسة والعشرين من عمره، ولقد أيده في حماسته أساتذتها الأذكياء المجددون. ولم يأت عام ١٩٢٨ حتى كانت لغة «باي — هويا» الجديدة قد راجت في الصين من أقصاها إلى أقصاها.

وهكذا قضت حركة هو شيه على روح الاحتكار الفكري لطائفة قليلة من الصفوة الممتازين، الذين راحوا يستخدمون معلوماتهم لتضليل أربعمائة مليون من أهل الصين الذين أخنى عليهم الدهر؛ وراحت الصحف — التي يحررها رسل لغة «باي — هويا» الجديدة — تطالب ببعث الصين ونهوضها. وطبعت الكتب باللغة الجديدة،

واعترف بكثير من القصص الشعبية العظيمة مثل « جميع الناس إخوة » — وقد كان الأدباء لا يقدرونها — كنماذج من الأدب الرفيع . وأخيرا طالبت الحكومة الجديدة بطبع الكتب الدرسية بلغة « باى — هوبا » .

وولد هوه شيه منذ خمسين عاما فى بيت أجداده بمقاطعة آنهوى . وكان أبوه موظفا صغيرا فى الحكومة توفى وولده فى الرابعة من عمره . وكان هوه شيه من ذلك الطراز من الناس الذى ينضج قبل الأوان . ولقد أخذت أمه الطموح على عاتقها مهمة صقل ذهنه وتكوين خلقه ، ولقد كان وهو فى الثالثة من عمره يعرف ٨٠٠ حرف من الحروف الصينية ، ولم يكن يرغب فى اللعب مع سواه من أطفال القرية . وكانوا يصيحون كلما مر بهم متأبطا كتبه — « ها هو ذا المعلم قادم » ، وسافر إلى شنغهاى عند ما بلغ الثالثة عشرة لتلقى العلم فيها ؛ وفى ذلك الميناء « البابلى » تكشفت له دنيا جديدة باعثة على الحيرة والارتباك [illegible] يرد ما تناهى إلى سمعه منها — وهو فى قريته — [illegible] إشاعات وأوهام .

وتعلم فى تلك المدينة اللغة الإنجليزية والتاريخ والفلسفة ؛ وكتب مقالات هدامة حارب فيها الخرافات والتعصب . ولقد كابد فى بعض الأوقات غصص الحرمان والفاقة حتى لقد اضطر إلى قطع حبل دراسته ، وتعليم مبادئ اللغة الإنجليزية مرسلا كل ما كان يربحه من مال لوالدته ؛ وكان يسهر الليل بطوله متحدثا إلى أصدقائه ، ومقامرا فى سبيل أرباح خرافية . وكان يسكر من احتساء بعض المشروبات الرخيصة ، وهبط « هوه » الشاب ضيفا على السجن فى إحدى سكراته المعربدة ؛ وفى صبيحة اليوم التالى رحل إلى بكين حيث جاز امتحانا قاسيا مهد له الظفر بدراسة مجانية فى إحدى الجامعات الأميركية . وقبل سفره إلى أميركا اتخذ لنفسه اسم الرجولة جريا على العادة الصينية . ولقد اختار اسم « شيه » ومعناه بالصينية « صالح » ، وذلك جريا على مبدأ داروين القائل بأن البقاء للأصلح . واسم « هوه » معناه « البرى الملتحى » ، وهو لقب الأسرة وبطلق الاسم بأكمله « هوه شيه » .

والتحق هوه شيه بجامعة كورنيل فى عام ١٩١٠ ، وواظب على كتابة يومياته طوال عهد الدراسة ؛ ولقد نشرها فى أربعة أجزاء ، ولا تزال حتى اليوم أكثر المطبوعات رواجا فى الصين . ولما ظهر نبوغه فى الفلسفة عمل بعد تخرجه فى الجامعة مساعدا للعلامة جون ديوى الأستاذ بجامعة كولومبيا . وهو يقول إن ديوى قد خلق منه رجلا من الناحية الفكرية . ومهدت له بحوثه الفكرية فى عمله ذلك الحصول على درجة الدكتوراه العلمية ، أما درجات « الدكتوراه » السبع عشرة الأخرى فقد كانت جميعها فخرية .

وفى عام ١٩٣٠ تحقق مطمع هوه شيه الذى ظل يصبو إليه طوال عمره عندما اختير عميدا لكلية الآداب بجامعة [illegible] أصبح زعيما للأدب فى الصين كلها وهو [illegible] له أن يصبح سفير بلاده فى الولايات المتحدة .

وعند ما قدم الدكتور هوه شيه أوراق اعتماده فى واشنطون منذ ثلاثة أعوام كان اسمه أنبه الأسماء الصينية وأبعدها صيتا فى هذا الجانب من المحيط الهادى . وهو معروف بأدبه أكثر مما هو معروف كرجل من رجال الدبلوماسية ، حتى أن إحدى الجامعات كتبت إلى السفير الصينى فى الربيع المنصرم تقول :

« نرجو لو تمكن سعادتكم من إلقاء خطاب الجامعة الافتتاحى . فإذا كان ذلك مستحيلا فهلا تكرمت علينا فأخبرتنا كيف نستطيع الاتصال بالعالم الصينى العظيم الدكتور هوه شيه » ؟

ولقد عُرِضَتْ على « الجنرالزمو » تشانج كاى تشيك قائمة طويلة بأسماء الدبلوماسيين القادرين ، ليختار من

بينها من يستطيع مل، منصب سفير الصين في واشنطون. ولكن الصين الشعبية الثائرة كانت في حاجة إلى رجل يستطيع أن ينفذ بسحر شخصيته إلى قلوب أفراد الشعب الأمريكي؛ ومن أجل هذا كان هوه شيه النحيل الجسد، الأشيب الشعر، خير مرشح لذلك المنصب. ويؤثر عنه أنه قال لشيانج كاى تشيك: «لا تنتظر مني أن أستجدى مالا أو أقوم بدعاوة ما». ولقد احتفظ إلى حد ما بتلك الخطة حتى الآن مما يثير دهشة حكومته في بعض الأحيان. وحدث ذات مرة أن بعثت إليه وزارة خارجية بلاده بمبلغ ستين ألف دولار لتنفق في أغراض الدعاوة، فأعاد الحوالة إلى الوزارة مغضبا، وكتب يشرح السبب في إرجاع المال، قال: «إني في خطبي ما يكفى للدعاية وهي لا تكلفكم شيئاً». ولما كان غير خبير بمسائل القروض والتسليح بعث الصينيون بالإخصائيين لتدبير أمورها.

وراجت إشاعة باطلة إبان المفاوضات الخطيرة مع اليابان مؤداها أن الاتفاق قد يتم بين أمريكا واليابان على حساب الصين. ولأول مرة في حياته الدبلوماسية تلاشى هدوء الأديب اللين العبارة، وفقد رباطة جأشه، وتوجه إلى البيت الأبيض حيث ذكر الرئيس روزفلت بعهوده الكثيرة التي قطعها على نفسه للصين. وعلى إثر تلك الزيارة قضى روزفلت وكورديل هل على تلك الإشاعة الخطرة بأن أخبرا اليابانيين صراحة بأن الولايات المتحدة ثابتة على موقفها.

ومن عجب أن يكون هوه شيه الثائر محافظا في حياته الخاصة. وعلى الرغم من أنه وجد رفيقا ساحرا في شخص طالبة صينية حسناء في فاسار (وكانت قد ألهبت زيارته في كورنيل حيث كان يجذف معها في زورق عبر البحيرة متحدثا إليها في شؤون الفلسفة)، فقد أطاع والدته وتزوج الفتاة التي اختارتها له عند ما كان في الحادية عشرة. ولقد توفرت في توزنج — هنيو كافة الفضائل المأثورة عن الزوجة الصينية، فهي طاهية ماهرة، ويتحدث معارفها ببراعتها في إعداد الفطائر المحشوة باللحم؛ وهي تحب زوجها وتعجب به، فهو الذي علمها القراءة والكتابة، ولكنها تراه بعيد المطامح. ولقد أنفق شهورا طويلة في سبيل إقناعها بأنه لا غبار عليه أن يصبح سفيرا. ولما كانت مسز «هوه» لا تتكلم الإنجليزية فهي تعمد غالبا إلى دفن وجهها في كميها الفضفاضين، مرسلة ضحكات الخجل في حضرة الضيوف الأجانب.

وأنفق هوه شيه أسعد أيام حياته في منزله العصري الطراز بمدينة بكين، أما اليوم فهو يحس بحرمانه من «المسرات البيتية». وعلى الرغم من أن ولديه يدرسان في بعض الكليات الأمريكية الآن، فإن مسز هوه بقيت في الصين اعتقادا منها أن وجودها في واشنطون قد يكون مدعاة لارتباك زوجها وقلقه.

ويستقبل هوه شيه في دار السفارة أفواجا لا نهاية لها من الطلبة، ويؤمه كثير من الأدباء الممتازين. وحدث ذات مرة أن وجهت إحدى الشابات إلى هوه شيه السؤال التالي: «ما هي أعمالك يا سيدي السفير؟» فأجاب هوه شيه — «أوه! خمسة وتسعون في المائة منها متصل بالشؤون الاجتماعية». فأعادت الفتاة الكرة سائلة: «وماذا عن الخمسة في المائة الباقية؟» فقال السفير: «دعيني أفكر في ذلك ... إنها تتعلق بالمسائل الاجتماعية كذلك». ومن مظاهر نشاطه الاجتماعي أن يخطب في جمعية تجار نيويورك ونادي الاتحاد الرياضي، ويحاضر في جامعة «ييل» وعشرات غيرها من الجامعات. وعلى الرغم من تعلق هوه شيه بالأدب فقد أحرز خبرة وثيقة بالشؤون الفنية، ويمكن أن يسمعه المرء متحدثا عن مزايا «القلاع الطائرة» — وهي من أطرزة الطائرات التي تستطيع الصين أن تغير بها على بلاد اليابان — ليعلم أن الحرب لا تواجه بالفلسفة المتدفقة وحدها.

ونشر هوه شيه مؤلفات بينها كتاب « تاريخ الآداب الحية » و « مختارات الأغاني الصينية » وطائفة كبيرة من الموضوعات ومئات من القصائد الدارجة . وحرر مجلات مختلفة أدبية وسياسية ، وأعان على ترجمة كثير من روائع الآداب الغربية إلى اللغة الصينية . وقد جعل آثار كونفوشياس قريبة من متناول يده ، وسائلة مع مداد قلمه .

وكان من آثار تعلقه الشديد بالسلام فيما مضى أن حمل عليه بعض المتطرفين الصينيين ونادوا به خائنا . وقد ناهضته حكومة تشانغ كاى تشيك المؤلفة من حزب واحد سنوات عديدة ، فحمل عليها حملات لاذعة ، بيد أنه عندما صارت الحرب ضد اليابان أمراً لا مفر منه — وكان تشانغ كاى تشيك قد ساوره الشك في أفراد حزبه الذين لا يعرفون سوى الموافقة على طول الخط — جمع حوله جماعة أشد منتقديه صراحة ليرى ما إذا كان من الواجب المساومة أو المقاومة ؛ ودفن الجندى والأديب أحقادهما القديمة ، ومع ذلك فغالباً ما ينتقد هوه شيه السفير حكومته . ورفض إلى اليوم الانضمام إلى حزب « الكومنتانغ » قائلا : « إنه إذا كانت عضوية الحزب لابد منها في سبيل قيامه بأي واجب سياسي ، فإن الصين لن تكون بلدا ديموقراطية » .

وعلى الرغم من أن هوه شيه رجل أنيس ، إلا أنه ليس من المغرمين المدلهين بالمجتمعات ، وهو لا يختلط كثيرا بالجالية الصينية في أمريكا ، وهم يواظبون على دعوته إلى حفلاتهم ، ولكنه ينيب عنه دائما سكرتير السفارة . ولما كانت أسرة هوه شيه من ولاية آنهوى ومعظم الجالية الصينية في أمريكا من مقاطعة كانتون فالسفير في اعتبارهم غريب عنهم .

ولقد كف هوه شيه عن بحوثه وكتاباته بعد أربع سنوات أمضاها في جو السياسة . وهو يتوق إلى العودة مرة أخرى للقيام بجولة واسعة في البحث العلمي ، ينجز فيها كتابه عن « تاريخ الآداب الصينية » . غير أنه لا مناص لأديب الصين الأعظم من مواصلة القيام بوظيفة السفير ما دامت هذه المحنة . والذين يقابلون ذلك الرجل القوى المهيب الواثق ، يعرفون السر في امتناع هزيمة أهل الصين البالغ عددهم ٤٠٠ مليون نسمة . ويقول هوه شيه في تواضع : إن وحدة أمته القومية التي عمل على تكوينها واحد وعشرون قرنا لا يمكن أن تعصف بهما سنوات دموية قليلة

أقفر الشاطئ

يا مغانينا على الشط سلاماً ... أين عهدي؟ آه لو عهدي داما
بين جنبيّ لهيب صاخب ... طاف بالأحشاء يرويها سقاما
وبعيني من جواها أرق ... يا هواها هل أمنى أن تناما؟
أنا ظمآن وحرام أن أرى ... لذة النوم على العين حراما

....

يا لياليها وهل من لحظة ... لحظة منكن تحيي مستهاما
أنا أمضي عمرى راضيا ... ولكن يا دهر للعمر الختاما

....

أنا الجريح وقد كنت الذي ... شهد العمر وفاء وغراما
ارو يا صاحب من أمسي فقد ... كان كالحلم وكالزهر ابتساما
ارو بالله فما أشهى الهوى ... أشعل القلب كما شئت هياما
أنا لن أبرأ من علته ... وسأفنى في الهوى عاما فعاما
لن يحيد القلب عن غايته ... إن تكن ناراً تلظى وضراما

....

إنني فيك غريب مفرد ... صنت يا شاطئ ودي والذماما
في قرون الأمس كنا ها هنا ... نتساقى الكأس صفواً ومداما
وندامى على العهد متى ... أين ولى ومضى عنك الندامى
خاصموني وارتضوا لي حيرتي ... يا لمضنى ذاق جفناه الخصاما
بات والليل على وحشته ... كم سيلقى كم سيشقى أو لاما؟

....

أقفر الشاطئ إلا أنني ... لم أجد إلا بذكراه اعتصاما
أطلب السلوى فلا ألقى سوى ... جرحي الموجع لا يبغي التئاما
وأرى الذكرى فأبكي حينا ... أجد الأيام عني تتعامى

(القاهرة) مصطفى على عبد الرحمن

حول
مستقبل الأدب العربي

كتب الأستاذ أحمد أمين بك مقالات عنوانها « مستقبل الأدب العربي » أخذ فيها على أدبنا مآخذ، ورأى في ماضيه آراء، واقترح لمستقبله خططا. والأستاذ، بارك الله فيه، يعالج بين الحين والحين أمرا خطيرا في أخلاقنا، أو سنننا الاجتماعية، أو لغتنا وأدبنا. وهو موفق إلى الصواب في كثير من مقالاته، مشكور عليها كلها شكر المجتهد المخلص الذي يعنّي نفسه ليهدي أمّته سبيلها، ويدعوها إلى تقويم المعوجّ من أمورها.

وقد بدا لي في مقاله الأخير، الذي تكلم فيه عن أدب العامة وأدب الخاصة، آراء أردت أن أعرضها عليه وعلى القراء. ولعل الأستاذ الفاضل لا يقول: [illegible] لا يكتب في مشاكلنا ولكن يعترض، ولا يتحدى ولكن يعقب. لا يقل الأستاذ هذا، فإني لا أجادله إلا قليلا حين لا أجد من الجدال بدّا، وربما تتوالى أعوام لا أعترض له فيها رأيا. وقد مضى على مناقشتي إياه في الأدب الجاهلي أربعة أعوام، لم أجادله فيها.

الأستاذ يتناول في مقالاته وفي إذاعته، وفي أحاديث مجالسه، كثيرا من أمورنا بالنقد تأدية للأمانة التي حُمّلها العلماء؛ ولكن يبدو في نقده أحيانا نزوع إلى الثورة الفكرية من أجل الإصلاح، بل يعلن بها أحيانا. والثورة إذا لابست رأيا أو بحثا، عرّضته لما يكون فيها أحيانا من تعسّف ومغالاة، واضطراب الصلة بين المقدمات والنتائج، والمسارعة إلى الرأي قبل أن يُوفّى حقّه من النظر والتمحيص.

* * *

كتب الأستاذ مقاله الأخير في أن الأدب العربي أدب خاصة لا عامة، وأن مرجع هذا إلى سببين: غلَبة الأميّة، وأن لكل أمة عربية لغتين، لغة للكتابة ولغة للخطاب. ورأى أن تزال الأمية، ويرفع الإعراب مما يقال ويكتب للعامة الخ.

وقد بدأ الأستاذ مقاله بقوله: « يعاني الأدب العربي الآن مشكلة من أكبر المشاكل، وهو أنه أدب الخاصة، وليس للعامة أدب ». ولست أجادل الأستاذ على ظاهر دعواه، فأقول إن للعامة أدبا محفوظا ومكتوبا، منه مواويل وأزجال وقصص كتب كله باللغة العامية، كقصص الهلالية والزير سالم وسيف بن ذي يزن؛ ومنه قصص كتب بلغة قريبة من لغة العامة، كقصص ألف ليلة وليلة، وقصة عنترة. ولا يلقى من يستطيع القراءة عسرا في فهم هذا الأدب، ولا يستعصي فهمه على من يسمعه [illegible] لا يقرءون، سواء أكتب بلغة عامية أم بلغة عربية صحيحة، ولا ننسى هذه المجلات التي شاعت في هذا العصر بلغة عامية أو لغة مقاربة. ثم هذه القصص التمثيلية التي يشهدها العامة والخاصة، ويستمع إليها في المنازل العامة والخاصة كذلك.

لست أجادل الأستاذ في هذا وأفصّل القول فيه، فإن مقصده بيّن؛ يريد أن يقول إن العامة لا نصيب لهم مما يكتب كتابنا وينظم شعراؤنا اليوم، ولا مما كتب كتابنا ونظم شعراؤنا في العصور الغابرة. وهذه دعوى صادقة في جملتها؛ ولكن الأستاذ قد حاد عن القصد حين قدّر العامة والخاصة وأحصى القراء في البلاد العربية بالطريقة التي قدّر بها وأحصى. قال: « إن الكتاب في العالم العربي يطبع منه الألف والألفان، والجريدة والمجلة لا تتجاوزان ستين ألفا »، وقال: « ومعنى ذلك أن القراء الذين يتغذون بالكتب والمجلات والصحف لا يتجاوزون

المائتي ألف ، إذا حسبنا أن الكتاب والمجلة يقرؤها أكثر من واحد» . فإن طردنا هذا القياس في الأمم الأخرى فإن الكتاب الإنجليزي يطبع منه خمسون أو مائة ألف ، وإن المجلة أو الجريدة يطبع منها ثلاثمائة ألف أو نحوها . «ومعنى ذلك أن القراء الذين يتغذون بالكتب والمجلات والصحف — في إنكلترا وأمريكا وأوستراليا وسائر الأقطار التي تتكلم الإنكليزية — لا يتجاوزون مليونا ومائتي ألف» .

فهل يرضى الأستاذ هذه النتيجة ؟ ألا يراها « مرعبة مفزعة » كما قال . ويتصل بهذا الإفراط والغلوّ في الدعوى والتقدير قوله عقب هذا : «وليس هناك أمة حيّة على وجه الأرض الآن تشقى نصف هذا الشقاء ولا ربعه» .

هل وثق أستاذنا حقًا أنه إذا نظر إلى أمم الأرض كلها في المشرق والمغرب ، وأحصى القرّاء والأميين في شرق أوروبا وفي إيران وتركستان والهند والصين وجاوة لا يجد أمة تشقى في هذا ربع شقاء الأمة العربية ؟ أليس هذا من الإسراف في الدعوى ، وتحكيم النفس والتهويل في الأحكام كما قلتُ آنفا ؟ أنا راضٍ بما يجيب به الأستاذ الكبير .

إن في كل أمة جماعات تختلف ثقافتها ونزعاتها ، ولكل كتاب قرّاء ؛ فليس صوابا أن يقدّر قراء أمة بعدد ما يطبع من نسخ كتاب أو مجلة أو جريدة .

ثم قال الأستاذ : «سبب هذه المصيبة العظمى في الأمم العربية شيئان : الأميّة الفاشية الخ» . ولا يخالف أحد دعوة الأستاذ إلى محو الأمية ، بل نثور معه عليها وندعو إلى محاربتها جهدنا .

* * *

وبعد أن دعا إلى الثورة على الأمية قال : « والسبب الثاني أن لكل أمة عربية لغتين ، لغة للكتابة والتأليف في العلوم والآداب ، ولغة للكلام في الشارع والمنزل والتعامل . والفرق بين اللغتين كبير » . ولست أخالف الأستاذ في أن بين الكتابة والخطاب في البلاد العربية فروقا ، ولكن لا أجيز لنفسي أن أقول إن لنا لغتين . فالعاميّ الأميّ يفهم ما يسمع من لغة الكتابة كلّه أو أكثره إن كان الموضوع قريبا إليه . والقرآن والحديث وخطب الجوامع والجرائد ، تقرأ على العامة فيفهمونها ، إلا إن كان الموضوع أعلى من عقولهم وأسمى من إدراكهم . ومنشورات الحكومات العربية تكتب باللغة الفصحى ويفهمها الناس دون مشقة . والصبي حين يذهب إلى المدرسة يسمع الدرس بلغة الكتابة أو ما يقرب منها ، ويقرأ دون حاجة إلى ترجمة من لغة الكتابة إلى لغة الخطاب ، ودون حاجة إلى التفسير إلا قليلا ، إن كان يقرأ فيما عرف من قبل ، أو ما هو قريب من معرفته . وأكثر التفسير لا يرجع إلى اختلاف اللغة ، ولكن إلى المعاني التي يعلّمها كما يشرح للطفل الإنكليزي ألفاظ الموضوعات التي يتعلمها ؟ ولست أجحد مع هذا كله الفروقَ الواضحةَ بين لغة الكتابة ولغة الخطاب ، وهذا لا تجادل الأستاذ فيه . ولا ريب أنه عنى هذه الفروق التي نعترف بها حين قال إن لكل أمة عربية لغتين . فليس يعنينا كثيرا هذا الخلاف في التعبير ، والقصد بيّن .

وكان يسعني أن أنظر إلى مقصده لا إلى عبارته ، وأقصد إلى الكلام في هذا القصد . ولكني جعلتها فرصة لردّ ما يردّده بعض الناس كلما دار الحديث في اللغة العربية واللغات العاميّة . سمعت كثيراً من يقول إن الصبي المصري يتعلم في المدارس لغات أوربية ، ويتعلم العربية وهي لغة أخرى أجنبية يُعلَّمها الطفل كما يعلم اللغات الأجنبية الأخرى . وهذا مُنكَر من القول وزور ، لا يحوج دحضه إلى عناء . وفي الجملة التي قدمتها غنى عن الجدال فيه .

(الكلام صلة) عبد الوهاب عزام

ذات مســـاء

مجموعة قصص للأستاذ صلاح ذهني

نقد وتقدير بقلم محمود تيمور

تبوأت القصة القصيرة في عالم الفكر الحديث مكانة مرموقة ، وصارت عنصرا من عناصر الأدب العربي ، بعد أن كانت منذ عشرات قليلة من السنين لا يؤبه لها ولا يعتدّ بها . ولعلنا لا نجانب الحق إذا قلنا إننا نتفاءل بمستقبل القصة لما يبدو من اطراد رقيها على أقلام المجددين من أدباء الشباب ؛ ولكن هذا التفاؤل لا يدق ما نلاحظه فيما تطالعنا به الصحف والمجلات من وفرة الأقاصيص التي تمد من الغث الرخيص ، ومرجع هذا إلى أن كثيرا من ناشئة القصاصين يقبلون على كتابة الأقاصيص ظنا منهم أن طريقها جد ميسور ، وعزب عن بالهم أن الأقصوصة عمل فني يقتضي دقة ومهارة ، وثقافة قصصية واسعة ، وتفهما لعناصر هذا الفن ، فضلا عن المرانة واليقظة والمراس الدائب . وأظهر ما يتبين من العيوب الشائعة بين هذه الفئة من ناشئة القصاصين أنهم لا يتجشمون أنفسهم عناء التفرقة بين الأقصوصة والقصة ، ولا يبالون أهم مميزات الأقصوصة ، وهي أنها تعالج جانبا من حياة لا حياة كاملة ، وأنها ليست إلا لمحة أو خاطرة أو إلمامة ، بشرط أن تستوفي في دائرتها القصيرة أصول الفن من تركيز وتحليل . والواقع أننا لا نقرأ في العدد الجم من الأقاصيص التي يتعجل بها الناشئة مواهبهم وكفاياتهم إلا ملخصات يعولون فيها على السرد المقتضب ، دون التحليل النفسي والمعالجة الفنية . على أننا لا ننكر أن رهطا من شباب الأدب لم يفتهم التزود من ثقافة الفن ، متابعين الدراسة والاطلاع ، مسايرين خطوات الفكر الحديث في نتاجه المتجدد ، وبذلك لم يعجزهم تفهم روح الأقصوصة ، فعالجوا موضوعاتهم على نحو يشرح صدور الذين يرجون أن تينع ثمار أدبنا العصري ، وأن تأخذ طريقها إلى السوق العالمي .

ومن هذا الرهط المتميز صديقنا الأستاذ صلاح الدين ذهني . وليس اسمه بطارئ على الميدان القصصي ، فقد أصدر عدة مجموعات لها دلالتها على الإجادة والتوثب . وكل مجموعة يصدرها يخطو بها إلى الأمام مرحلة ؛ والمجموعة التي بين أيدينا الآن اسمها : « ذات مساء » جديرة أن تحتل مكانة كريمة من أدبنا الحديث . ومن مميزاتها أن المؤلف فيهـا أسلوبا مطبوعا بطابعه ، وتفرده عن بقية الكتاب فيما يصطنعون من أساليب ، وآية الصدق فيه أنه يمثل حديث المؤلف في مجالسه ، مع ملاحظة الصياغة الفنية التي تستدعيها الكتابة . وفي هذا الأسلوب يتتابع إيقاع الكلمات والجمل في موسيقية تلذ السمع ، وتبعث [illegible]

والمؤلف في تصويره أبطاله رسام حاذق ، قوى الإبانة على الرغم من قلة الأوصاف والنعوت ؛ فهو يوجز ولكنه يطوى في هذا الإيجاز سر قوته ، فسرعان ما تنبض الصور بالحياة وتشعرك بوجودها بطريقة أخاذة .

وللمؤلف عناية ظاهرة باستخدام التحليل النفسي لحياة الأبطال ، والتزام المنطق السليم في عرض الحوادث ، ولذلك تخلو أقاصيصه من التنافر بين أجزائها ؛ فالقارئ يتابع الأقصوصة دون أن يحس أي افتعال وتكلف ، حتى يبلغ النهاية الطبيعية في سلاسة وهوادة وصدق فني .

وفي تضاعيف الأقاصيص جميعا تسرى روح من الدعابة والمرح تستهوى القارئ ، وتشيع الغبطة بين جوانحه . وقد وفق المؤلف في جعل أقاصيصه محتوية على عنصر الفن وعنصر التسلية والتشويق معاً ؛ إذ ألف بينهما تأليفا لبقا . فالقارئ الجاد يصيب غذاءه الفكري الطيب ، والقارئ

المتلقي يترشف متعته المهذبة الطيبة .

وربما يبدو لغير المتعمق أن ليس لأقاصيص هذه المجموعة مرام خلقية ملموسة ، وأهداف اجتماعية واضحة ، فيأخذ على المؤلف أنه أغفل ذلك الجانب . والواقع أن هذه المؤاخذة الموهومة إنما هي ميزة خليقة بالتقدير ، فإن المتعمق المتفهم يستخلص لنفسه من تلك الأقاصيص أهدافاً ومرامي لها صلتها الوثقى بالأخلاق والاجتماع ، بيد أنها تنكبت الطريق المباشر ، وتغلغلت في ثنايا الموضوع ، وتوارت وراء الأحداث والصور .

* * *

والرجاء أن تلقى المؤلف في مجموعاته المقبلة تدعمه دائماً تلك الثقافة المتجددة التي يغترف من مناهلها العذاب ، فيتنامى في مدارج الكمال الفني الذي لا حد له ولا منتهى .

محمود تيمور

الشهيد . . .

ما مرَّ عيدٌ بعد عيدْ إلا ذكرتك يا شهيدْ
وذكرت كيف غضبت في وادٍ تهدهده القيود
نُشِّفت – وهي الغيب – أن الضوء يخلقه الوقود
فحملت مشعله تجو دُ ولا ثواب لمن يجود
وو ُيدْتَ وأكدَاهُ – بل وامرحتاهُ – للوليد !!

ما مرَّ عيدٌ بعد عيدْ إلا نسيتُك يا شهيد
ونسيت أن الناس تذ كرك الغداة ولا تزيد
فإذا توارى العيد أو دفت الثرى حتى يعود !!
أبقى على الذكرى إذا أضحت رجيعاً للوعود
أو أنست العبرات يُهْ تاناً يسيل على ركود
أو ورثت آثارك الـ بيضاء بالحبر الزهيد
هيهات أن تحيا بما لا صدق فيه ولا وجود

ما مرَّ عيدٌ بعد عيدْ إلا بكيتُك يا شهيد
وبكيت مثواك الذي يرنو إلينا من بعيد
يرنو ليوقظ أمةً بسطت ذراعاً بالوصيد ...
لهفي عليك تخط للـ ـدنيا سطوراً في جليد
وتموت مبتهجاً كأ نك قد حظيت بما تريد !!
يهنيك أن درجت دما ؤك في أخاديد الجحود
من ساد حياً وحده في الموت أحرى أن يسود

عبد الفتاح البارودي

سمراء

إن أكن سمراء فالحسن نصيري
إنني ربيبة الوادي النضير
[illegible] لا تنظرن لي نظرة الساخر مغلول الضمير
إنها الشمس أحالت مشرقي شفقاً في الحسن منقود النظير
أحور [illegible] منهمو لم يكن كرى لديهم بأثير
فاعذروني على [illegible] لم بينا كرى مباح النمير

عبد العليم محمد القباني

صاحب امتياز المجلة
رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر
أحمد أمين بك

* * *

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف

الاشتراك لستة أشهر:
٤٥ في مصر والسودان
٣٧/٥ لطلبة ومعلمي الإلزام
٦٠ في البلاد الداخلة ضمن اتحاد البريد
٧٥ في البلاد الخارجة عن اتحاد البريد
ثمن العدد ١٥ مليماً

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – بشارع الكرداسي رقم ٩ بعابدين – مصر